ثلاثـــــة
ينـــتظرهم العالم

إعـــداد

عاطف عمارة

دار الروضة

للنشر والتوزيع

ثلاثة ينتظرهم العالم

الطبعة الأولى
٢٠٠٤ م - ١٤٢٥ هـ

دار الروضة - للنشر والتوزيع
٢ درب الأتراك خلف جامع الأزهر
٥٩١٣٤٢٤ - ٥٠٦٦٨٨٤ فاكس : ٥٩٢٧٣٦٤

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

على الرغم مما حققه الإنسان، عبر تاريخه الحضارى، إلا أننا لا نملك سوى الدهشة عندما تطالعنا بعض العقائد أو الأفكار الخاصة المتعلقة بأشخاص ينتظرهم العالم.

فالاعتقاد فى ظهور شخصيات معينة، ينتظر العالم ظهورها فى أوقات محددة، قد يعنى فيما يعنيه: أن البشر يشعرون، على الرغم من كل منجزاتهم، أن هناك الكثير مما لم يتحقق، وأن أمانيهم وأحلامهم لم تحققها الحياة، ولذلك فإن عليهم الانتظار إلى أن يظهر " مخلصهم " الموعود لكى يحقق لهم هذه الأمانى وتلك الأحلام .

لذا ينتظر اليهود " ملكهم الموعود " .. المسيح اليهودى .

وننتظر نحن، أهل السنة، نفس هذا المسيح .. لكننا نسميه: " الدجال " .

وينتظر أهل الإسلام الشيعى من يطلقون عليه لقب " المهدى المنتظر " .

وينتظر نسل " جنكيز خان " عودة مليكهم " تيموجين " .

وينتظر أتباع زرادشت عودة حكيمهم المؤله " زرادشت " .

وقد أدت هذه العقيدة إلى ظهور الكثير من الفرق والمذاهب الدينية، كما أدت إلى اندلاع الفتن، والثورات، والحركات السياسية الانقلابية، القديمة والحديثة على السواء .. ولذلك فهى عقيدة مؤثرة، هامة، تخرج عن دائرة المعتقدات الذاتية، إلى دائرة الفعل والتأثير السياسى والاجتماعى فى الحياة الإنسانية .

وقد دفعنا ما لهذه العقيدة من أثر هام إلى تتبع آثارها، لمحاولة الوقوف على نشأتها، وأشكال تطورها، ونتائجها الدينية والسياسية، وقد لا نكون قد وفقنا كل التوفيق فى الإحاطة بأهداف البحث فى مثل هذا الحيز الضيق، المتاح، لكننا على الأقل سنكون قد وضعنا أمام القارئ صورة عامة، لا غنى عنها، لنشأة هذه العقيدة وتطورها وآثارها ونتائجها .

ونحن نعتقد أن أقرب العقائد إلينا هى عقائدنا فى " المسيح الدجال " وفى يأجوج ومأجوج " وفى " عودة المسيح عيسى بن مريم عليه السلام "، ونظراً لقرب هذه العقائد من أذهاننا ومعرفتنا الواسعة بها فإننا قد تجاهلنا الكثير من التفاصيل غير الهامة الخاصة بتلك العقائد، واكتفينا بالخطوط الرئيسية لها . حتى يتسع المجال أمامنا، بالمقابل، لتناول عقيدة " المهدى المنتظر " . وهى عقيدة تستدعى منا البحث فى الكثير من المصادر الشيعية والدراسات المتصلة بها .

* * *

لقد حاولنا فى هذا الكتاب، على تواضعه، أن نعطى للقارىء إلمامة عامة بعقائد "المهدوية " .

ثم كان أن اتسعت دائرة البحث، لتشمل عقائد انتظار الشخصيات الدينية الأخرى، مثل " عيسى بن مريم عليه السلام "، و" المسيح الدجال " و" يأجوج ومأجوج "، لأن هذه العقائد، الأخيرة، تربطها سلسلة واحدة تؤدى كل حلقة فيها إلى الحلقة التى تليها .

وقد راعينا فى كتابنا هذا أن يكون شاملاً، دون تعقيد، كاملاً دون إسهاب، موجزاً دون إخلال . لأننا نتوجه به إلى عامة القراء دون أهل الاختصاص فى الدراسات الإسلامية .

وليس معنى هذا أن الباحث فى الدراسات الإسلامية لن يجد نفعاً فى هذا الكتاب بل على العكس من ذلك . فإنه سيجد فيه خلاصة جامعة لمعتقد " المهدوية " منذ نشأته وتطور هذا المعتقد بتشعب الفرق الشيعية على اختلاف أنواعها وكثرتها، فهو إن لم يشمل كافة التفاصيل الدقيقة إلا أنه يعتبر بمثابة الموجز الجامع لأفكار الإسلام الشيعى وخصوصاً فى معتقد " المهدوية " .

والكتاب بعد ذلك ينطوى على فائدة عامة للقارئ العام، ولاسيما القارئ الذى يقرأ لأول مرة عن " المهدى المنتظر " .. وعن "المسيح الدجال"وعن "يأجوج ومأجوج". وحسبى أن يفى هذا الكتاب بحاجة القارئ فى هذا الموضوع .

القاهرة: ٢٠٠٢ عاطف عمارة

(القسم الأول)

المهدى المنتظر

المهدوية فى الإسلام

تتفق أغلب المصادر المعروفة عن " المهدية " على أن " المهدية ": من الحركات الثورية الهدامة فى التاريخ الإسلامى .

وليس من شك فى أن هذه الفكرة قد أثرت كثيراً فى تاريخ الإسلام، وشغلت مكانة هامة فى التاريخ، وأثارت الكثير من الفتن والاضطرابات، فقد أسقطت الكثير من الحكومات وأقامت - أيضاً - الكثير من الحكومات، وتعدى تأثيرها مجال الحكم والسياسة إلى الأدب والدين، وهى فكرة قديمة منذ فجر التاريخ الإسلامى، وقد استمر أثرها حتى القرن المنصرم .. فما هو مصدر فكرة المهدية ؟!

الواقع أن مصادر هذه الفكرة متعددة، وأهمها أن الطبيعة الشرقية بذاتها كانت تتوق عبر العصور إلى " مُخلص " ينقذها من ظلمات الاستبداد والقهر والعسف الذى عانته الشعوب عبر العصور، إذ إن تلك الشعوب لم تحكم إلا بالحكومات الاستبدادية المطلقة، وكانت شعوب الشرق القديم تنوء بعصور الجهل والظلام والاستبداد والعبودية والانحطاط الفكرى والظلم والحرمان .

وكان الحكام يسوقون الرعية كالأغنام بما لهم من حقوق إلهية مقدسة، ولم يكن أمام تلك الشعوب سوى الحلم بمن ينقذها ويخلصها مما هى فيه، لكن حتى هذا الحلم قد اتخذ الصبغة الدينية لأن الطبيعة الشرقية تميل إلى الدين وكل ما يتصل به .

وهكذا أصبحت صورة المنقذ أو المخلص مصطبغة بالدين، فهو مبعوث العناية الإلهية . فعقيدة " المخلّص " أو " المنقذ " الموائمة للطبيعة الشرقية والناجمة عن ظلمات الجهل والاستبداد، نجدها ذائعة أيما ذيوع بين جميع الشعوب الشرقية القديمة، فمسيحيو الأحباش ينتظرون عودة مليكهم " تيودور " كمهدى فى آخر الزمان[1]، كما يؤمن كثير من المسيحيين برجعة المسيح لإنقاذ العالم من ظلم الإنسان وفتكه بأخيه الإنسان .

ويعتقد المغول أن " تيموجين " (جنكيزخان) - الذى تقدم علّى ضريحه القرابين - كان قد وعد قبل موته بعودته إلى الدنيا بعد تسعة قرون لتخليص قومه من نير الحكم الصينى . كذلك نجد هذا المعتقد، أو بذوره عند قدماء المصريين، وفى كتب الصين، والفرس، وكذلك فى تناسخ " براهما " فى عقائد الهند .. لذا فمن المعتقد أن عقيدة " المخلص " هذه كانت من أهم العوامل التى خلقت عقيدة " المهدى " فى المجتمع

الإسلامى، أما الذين خلقوها على غرار هذه العقائد فهم الشيعة على يد " ابن السوداء " اليهودى المتأسلم !

* **المهدى فى الإسلام:**

المهدى، لغة، اسم مفعول من هدى ؛ هداه الله إلى الإيمان هديا . والهدى: ضد الضلال هو الرشاد، والكلمة فى العربية كانت موجودة حتى قبل الإسلام . وتستخدم فى الهداية إلى الطريق، وإلى الخير . إلخ، وزاد الإسلام فى معانيها الهداية إلى الإيمان فأسبغ عليها ثوباً دينياً . وإن لم يرد ذكرها فى القرآن بلفظ " المهدى "، إلا أن كل من هداه الله إلى الإيمان فهو " مهدى " أو " مهتدى " .. وبهذا المعنى استعملت فى الحديث " " عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين " .

كما أن المسلمين المعاصرين يطلقون اسم " المهدى " على من يدخل فى الإسلام من أهل الديانات الأخرى، فالمعنى اللغوى لا يحمل فى طياته ما يدل على أن " المهدى " هو: " الإمام المنتظر الذى يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً " .

قال ابن الأثير فى (النهاية) ونقله ابن منظور فى (اللسان):

" المهدى: الذى قد هداه الله إلى الحق، وقد استعمل فى الأسماء حتى صار كالأسماء الغالبة، وبه سُمى " المهدى " الذى بشر به رسول الله ﷺ أنه يجىء فى آخر الزمان " [1] .

يتضح من ذلك أن كلمة " المهدى " كانت عامة فى المعنى اللغوى، واستخدمت بمعناها العام فى السياق الإسلامى لتدل على الهداية، لكنها خصصت ـ بعد ذلك ـ للدلالة على " الإمام المنتظر " على أيدى الشيعة .

* **الإمامة فى الإسلام:**

يختلف مفهوم الإمامة فى الإسلام، بين أهل السنة والشيعة، وينعكس أثر هذا الخلاف بكل وضوح على عقيدة كل منهما فى " الإمام "، كما يرتبط هذا المفهوم عند الشيعة " بالإمام المنتظر "، لكن ما هى جذور الخلاف حول مفهوم الإمامة بين الشيعة وأهل السنة ؟!

الواقع أن جذور هذا الخلاف تمتد فى التاريخ الإسلامى لترتبط باللحظة التى عقد فيها " مؤتمر السقيفة " عقب وفاة الرسول ﷺ مباشرة، حيث كان الرسول ﷺ مسجى

في بردته لم يدفن بعد ! وقد انتهى مؤتمر السقيفة، بعد صراع في الرأى، عن إمامة أبى بكر، التي جاءت على حد تعبير ابن الخطاب " فلتة "[١]، والتي لم تُرض بعض الأنصار، فقد امتنع سعد بن عبادة عن مبايعة أبى بكر حتى مات، كما لم تُرضى بنى أمية بن عبد شمس .

أما بنو هاشم فقد سخطوا أشد السخط عليها، وعدوها اغتصاباً لحقوقهم وإهداراً لوجودهم، فقد كانوا لقرابتهم من الرسول يتوقون لهذا الأمر من بعده، وأكبر الظن أن علياً وحده هو الذى كان يتوق ويطمع فى هذا الأمر إلى حد كبير، ولقد نقم على مؤتمر السقيفة الذى أضاعه منه، وامتنع عن مبايعة أبى بكر، تؤيده فى ذلك وتشد أزره زوجه فاطمة ابنة الرسول، ونفر من بنى هاشم، وكثير من صحابة النبى، منهم الزبير وعتبة بن أبى لهب، وخالد بن سعيد بن العاص، والمقداد بن عمرو، وسلمان الفارسى وأبو ذر، وعمار بن ياسر، والبراء بن عازب، وأبى بن كعب، وأبو سفيان .

منذ هذه اللحظة بدأ الصراع على السلطة فى الإسلام، وبدأ الخلاف حول الإمامة، وبدأ التشيع لآل البيت عموماً . ولعلى خصوصاً، فالإمامة عند الشيعة يجب أن تكون فى آل البيت، وهم يستندون فى إثبات حقهم فيها على تأويلهم لقوله تعالى ﴿ قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾ [الشورى:٢٣] . ويقصدون بالقربى " قرابة النبى " ! ويرون بذلك أن القرآن يفرض على جميع المسلمين مودة قربى الرسول ﷺ . ومن الواضح طبعاً أن هذا التفسير قد أملاه الهوى والغرض، وهو لا سند له من التاريخ وصحاح الأحاديث، ناهيك عن بعده عن مادة اللغة وروح الإسلام .

أما عند أهل السنة، فالإمامة ليست من الأصول، بل من الفروع المتعلقة بأفعال المكلفين . وهى رياسة عامة فى أمور الدين والدنيا لشخص من الأشخاص، وهى واجبة سمعاً لتواتر إجماع المسلمين فى الصدر الأول، بعد وفاة الرسول على امتناع خلو الوقت عن إمام . لما فى الإمامة من دفع ضرر مظنون .. ولقد قال أبو بكر فى خطبته : " ألا إن محمداً قد مات ولابد لهذا الدين ممن يقوم به " . فبادر الكل إلى قبوله ومبايعته .

وتثبت الإمامة عند أهل السنة بالنص من الإمام السابق، وببيعة أهل الحل والعقد، ولابد فى القائم بها من شروط تؤهله لهذا المنصب ..

فاشترطوا أن يكون :

١) عالماً بأحكام الله منفذاً لها، مجتهداً فى علمه، لأن التقليد نقص والإمامة

تستدعى الكمال .

٢) عـادلاً؛ لأن الإمامة منصب دينى فى سائر المناصب التى اشترطت فيها العدالة، فالعدالة أولى أن تشترط فى الإمام .

٣) كفـئاً ؛ أى جريئاً فى إقامة الحدود، والقوة على معاناة السياسة، لكى يصح له ما جعل له من حماية الدين، وجهاد العدو، وإقامة الأحكام وتدبير المصالح .

٤) سـوياً فى خَلقه ؛ سليم الحواس والأعضاء من النقص والتعطيل كالجنون والعمى والصـمم والخرس وفقدان كلتا يديه أو قدميه . فلابد للإمام من السلامة فى ذلك كله لـتأثير ذلـك فـى عملـه . أما إذا كان النقص يشين منظره فقط كفقد إحدى عينيه أو إحدى يديه أو قدميه، فشرط السلامة منه شرط كمال .

قـال الصـفدى: " الإمام لا يجوز أن يكون أعمى ؛ وقال الرافعى: وينعزل بالعمى والصـمم والخـرس، ولا يـنعزل بتمـتمة اللسـان ؛ ولا ثقـل السـمع " . وقال الشيخ محى الديـن فـى شروط الإمامة: وهى كونه مكلفاً مسلماً عدلاً حراً ذكراً عالماً مجتهداً شجاعاً ذا رأى وكفاية، سميعاً بصيراً ناطقا قرشياً .[1] .

وبالطـبع، فـإن طاعـة الإمام عند أهل السنة واجبة على الرعية لقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَـا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ [النساء: ٥٩] . بيد إنها مقيدة بطاعة الإمام نفسه لله، فإن حاد قُوِّم فإن تمادى عُزل .

أمـا الخوارج فيعترفون بالإمامة وصحتها لأى إنسان يحسن القيام بها، ولا يشترط لذلـك أن يكـون قرشـياً، لكـن تسـتثنى " الـنجدات " مـن فرقتهم، وهى الفرقة المنتسبة " لـنجدة بـن عامـر " إذ تـرى أن الأمة ليست فى حاجة إلى إمام، لأن نصبه يثير الفتنة وقد يدعى كل قوم إمامة شخص وصلاحه دون الآخر، فيقع الشجار والتناحر[1] .

إذن فالإمامـة عـند السـنة ليسـت مـن أصـول الديـن، وعند الخوارج ليست بذات خطـر، لكنها عند الشيعة تمثل كل شيء . ولو نحيت الإمامة من الإسلام الشيعى لانهار المذهـب الشـيعى كله، وعند الشيعة أن مرتبة الإمامة أعلى حتى من مرتبة النبوة لأن الله تعالى كما يعتقدون بعد أن أعطى النبوة لإبراهيم خاطبه بقوله:

﴿ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً ﴾ [البقرة: ١٢٤][1]

---

(١) (الشهرستانى: الملـل والـنحل، ج ١ ص ١٦٧ بهـامش " الفصل " لابن حزم، المطبعة الأدبية، ١٣١٧ هـ) .

والإمامة عند الشيعة ركن من أركان الدين، وقاعدة الإسلام، لا يجوز لنبى إغفاله ولا تفويضه إلى الأمة، بل يجب عليه تعيين الإمام لهم .. فالإمامة ليست من المصالح العامة المفوضة لنظر الأمة . ولا يجب أن يتعين القائم بها بتعيينهم . والإمام عند الشيعة هو الرئيس الأوحد من الوجهتين الدينية والدنيوية، وقد تلقى إمامته مباشرة من الله . فالإمام عند الشيعة ليس كمن يتقلد السلطة عن طريق اختيار المسلمين، وبحق ما يقوله الأب لامنس من أن الخليفة عند السنة هو رئيس السلطة الزمنية فحسب، فهو مجرد من كل سلطة تتعلق بالعقيدة، وليس الخليفة سوى حامى الشريعة والذائد عن حياض الإسلام، وهو لا يشبه الإمام عند الشيعة الذى هو حبرها الأعظم ومعلمها المعصوم، وهو ليس خليفة محمد الزمنى فحسب، بل وارث مركزه والمنصوص عليه عنه ومفسر وحيه، وهو بكلمة مختصرة الزعيم الدينى والدنيوى . ومركزه أسمى من مركز البابا فى الكنيسة الكاثوليكية ؛ إذ يمتاز فضلاً عن العصمة بالتنزيه، والنصب من الله، فهو الطريق الوحيد للوصول إلى معرفة الله .

لذلك تؤثر الشيعة لقب " الإمام " على " الخليفة "، والإمام عندهم لا يكون من عامة الناس، بل هو عربى قرشى هاشمى، والإمام عند الشيعة يوحى إليه كالأنبياء والرسل، ومن هنا كانت العصمة للإمام، فهو ـ عندهم ـ معصوم من الصغائر والكبائر، بيد أن له التقية، وقد قال بعض غلاتهم: لابد من ظهور المعجزة على يديه ليُعرف صدقه فى دعوى الإمامة، ولا يصح الإيمان عندهم إلا بالإيمان به !

قال " الكلينى " فى " الكافى " عن أبى حمزة قال لى أبو جعفر: إنما يعبد الله من يعرف الله، فأما من لا يعرف الله فإنما يعبده هكذا ضلالاً . قلت: جعلت فداك فما معرفة الله ؟ قال: تصديق الله عز وجل وتصديق رسوله وموالاة علىّ والائتمام بأئمة الهدى عليهم السلام، والبراءة إلى الله عز وجل من عدوهم، هكذا يُعْرف الله "، " ومن لا يعرف الله عز وجل ويعرف الإمام منا أهل البيت فإنما يعرف ويعبد غير الله " وقال أبو جعفر: " إن من أصبح من هذه الأمة لا إمام له، أصبح ضالاً تائهاً، وإن مات على هذه الحال مات ميتة كفر ونفاق " . [الكافى: ج ١، ص ٨٢] .

والإمام الأول عند الشيعة هو " على بن أبى طالب " وفى اعتقادهم أن النبى ﷺ قد اختاره صراحة وعينه ليخلفه بعد موته، وذلك بنص أعلن عند غدير " خم ": " من كنت مولاه فعلىُّ مولاه . اللهم والِ من والاه ؛ وعادِ من عاداه " . وذلك بعد عودته من مكة بعد حجة الوداع . حيث وقف عند هذا الغدير وآخى بينه وبين علىّ بن أبى

طالب ورشحه بعده للخلافة (الإمامة) قائلاً: " على منى كهارون من موسى، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله " [١] .

لذلك فقد ابتدعت الشيعة عيداً ثالثاً، على قول القلقشندى، سموه "عيد الغدير" وزعموا أن النبى ﷺ أعلن خلافة علىّ له فى ذلك اليوم بعد أن نزل الوحى عليه يأمره بإعلان خلافته !! وزعموا أن النبى قد أعلن خلافة على بالفعل فى ذلك اليوم وأنه أخذ العهد على الناس جميعاً وأخذ منهم البيعة لعلىّ !!

وبالطبع، فإن هذه المزاعم الشيعية لا دليل على وجودها فى المصادر الإسلامية، ولو كانت قد حدثت بالفعل لذكرها المؤرخون ولما أسقطها أحد منها، ولكن جميع المصادر التاريخية الإسلامية ليس بها ما يشير إلى هذه الواقعة المزعومة . ولو كان النبى ﷺ قد ترك نصاً بإمامة أحد من بعده، أياً كان، لما اختلف الناس عليه، ولاحتج من أراد بهذا النص، لكن الثابت أن النبى ﷺ لم يترك أى نص بإمامة أحد من بعده . ولو كان النبى ﷺ قد ترك مثل هذا النص بخلافة علىّ لاحتج به علىّ فى مؤتمر السقيفة

وأهل السنة ينكرون وجود علىّ يوم الغدير أصلاً، كما ينكرون نصوص وأحاديث الشيعة، قال ابن خلدون فى المقدمة عن هذه الأحاديث: " لا يعرفها جهابذة السنة ولا نقلة الشريعة، بل أكثرها موضوع، أو مطعون فى طريقه، أو بعيد عن تأويلاتهم الفاسدة" . [ص ٩٦، ط بولاق] . وكذلك قال ابن حزم فى " الفصل بين الملل والأهواء والنحل " (ج ٤ ص ١٤٨): " أما سائر الأحاديث التى تتعلق بها الرافضة فموضوعة يعرف ذلك من له أدنى علم بالأخبار ونقلتها " .

وعلىٌّ عند الشيعة هو وصىّ محمد ؛ إذ لابد للأنبياء عندهم من أوصياء، كما تنص على ذلك تعاليم أستاذهم " ابن السوداء " - عبد الله بن سبأ، وباختيار النبى لعلىّ خليفة له أصبح هذا وصيّه، قال ابن سبأ: " إن لكل نبى وصياً وإن علياً وصى محمد ﷺ، وإنه خير الأوصياء، كما أن محمداً خير الأنبياء "[٢] .

وقد روت الشيعة عن النبى أنه قال: " من الذى يبايعنى على ماله ؟ فبايعته جماعة، ثم قال: من الذى يبايعنى على روحه وهو وصى وولى هذا الأمر بعدى ؟ فلم يبايعه أحد حتى مدّ أمير المؤمنين علىّ عليه السلام يده إليه فبايعه على روحه " .

---

(١) [الشهرستانى: سابق] .
(٢) [مختصر الفرق بين الفرق للرسعنى: ص ١٤٣]

[الملل والنحل: الشهرستانى . سابق] . وقد أنكرت عائشة ﷺ ذلك .

وقولهم بالوصاية لعلى لا يعنى مجرد الخلافة أو الإمامة، إنما يتضمن أيضاً الزعم بأن النبى ﷺ قد خصه، دون سائر الناس، بعلوم لا يشركه فيها غيره، ومن المعلوم طبعاً أن النبى لم يظهر بغير القرآن ولم يكتم عن أمته شيئاً مما أوحى إليه . ولكن الشيعة يصرون على مزاعمهم تلك حتى أنهم دبجوا فيها الكثير من القصائد ونشروا الكثير من الأحاديث والروايات المنحولة، وآدابهم تشهد بذلك، ولم يقف الأمر عند هذا الحد .. بل تعداه إلى ما هو أبعد من ذلك، فقد ورث خلفاء علىّ رئاسة الدولة وولاية الحكم باعتبارهم الأئمة .

جاء فى الكافى للكلينى (ج ٥ ص ١٠٥): " نحن شجرة النبوة وبيت الرحمة ومفاتيح الحكمة ومعدن العلم، وموضع الرسالة ومختلف الملائكة، وموضع سر الله، ونحن وديعة الله فى عباده، ونحن حرم الله الأكبر، ونحن ذمة الله، ونحن عهد الله فمن وفّى بعهدنا فقد وفّى بعهد الله، ومن خفرها فقد خفر ذمة الله وعهده " ؛ " نحن خُزَّان علم الله، ونحن تراجمة وحى الله، نحن الحجة البالغة على من دون السماء ومن فوق الأرض " .

ومن هؤلاء الأئمة الحُضَّر والغُيَّب، الظاهرون والمختفون، والمختفى كالظاهر فيما له من تقديس وإيمان[1] وقد انحدرت إلى هؤلاء الأئمة من علىّ صفاته الروحية الخاصة وكل ما يمتاز به من علوم وينفرد به من أسرار، فورثوا عنه اسم الله الأعظم، وجميع الكتب المنزلة التى يعرفونها بلغاتهم المختلفة، كما ورثوا " القرآن الصحيح " الذى لم يجمعه ولم يحفظه - كما أنزله الله - إلا علىّ فقط (الكافى للكلينى: سابق)، كما ورثوا أيضاً مصحفاً آخر لفاطمة، والجامعة، والجفرين - الأكبر والأصغر - فهم يعلمون لذلك علم ما كان وما سيكون، كما يعلمون متى يموتون، ولا يموتون إلا بمحض اختيارهم ! !

ولا يفوتنا أن نذكر أن هناك كتاباً آخر خاصاً بآل البيت، نزل به جبريل على محمد، فدفعه إلى علىّ فخلَّفه هذا لذريته الأئمة يتوارثونه من بعده إماماً بعد إمام، حتى ينتهى به المطاف أخيراً إلى الإمام الأخير، المهدى، وفى هذا الكتاب أوامر من الله لكل إمام من الأئمة، قال الكلينى: " عن معاذ بن كثير عن أبى عبد الله أنه قال: إن الله عز وجل أنزل على نبيه كتاباً فقال جبريل: يا محمد هذه وصيتك إلى النجباء . فقال: ومن

[1] المهدية فى الإسلام: سابق، ص ٢١ .

النجباء يا جبريل ؟ فقال: على بن أبى طالب وولده، وكان على الكتاب خواتم من ذهب، فدفعه رسول الله إلى علىّ وأمره أن يفك خاتماً منه فيعمل بما فيه، ثم دفعه إلى الحسن ففك منه خاتماً فعمل بما فيه، ثم دفعه إلى الحسين ففك خاتماً فوجد فيه (أن اخرج بقومك إلى الشهادة فلا شهادة لهم إلا معك واشتر نفسك لله) ففعل، ثم دفعه إلى علىّ بن الحسين ففك خاتماً فوجد فيه (أن أطرق واصمت والزم منزلك واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) ففعل، ثم دفعه إلى ابنه محمد بن على ففك خاتماً فوجد فيه (حدّث الناس وأفتهم وانشر علوم أهل بيتك وصدق آبائك الصالحين ولا تخافن أحداً إلا الله فإنه لا سبيل لأحد عليك) ثم دفعه إلى جعفر الصادق فوجد فيه (حدّث الناس وأفتهم ولا تخافن إلا الله، وانشر علوم أهل بيتك وصدق آبائك الصالحين، فإنك فى حرز وأمان)، ففعل ثم دفعه إلى موسى .. " وهكذا إلى المهدى [الكافى: للكلينى، ج ١ ص ١٣٣] .

وقد ذكر " جولدزيهر " فى كتابه " العقيدة والشريعة فى الإسلام ": " إن كل إمام من هؤلاء الأئمة وصىّ لسلفه الذى عيَّنه بإقراره الصحيح، موافقاً للترتيب الإلهى الذى سبق أن كتبه الله وقضى به، ونفذه الرسول كتقليد إلهى لمنصب الحكم وولاية أمور الأمة، وآداب الشيعة توضح إلى أى مدى يقدس الشيعة الأئمة والخلفاء وينسبون لهم الصفات القدسية، وإليك المثال من أبيات الشاعر الشيعى الإسماعيلى الفاطمى، ابن هانىء الأندلسى من قصيدة فى مدح المعز لدين الله .. يقول فيها:

ما شئت لا ما شاءت الأقدار ... فاحكم فأنت الواحد القهار ! !
وكأنما أنت النبى محمد ... وكأنما أنصارك الأنصار
أنت الذى كانت تبشرنا به ... فى كتبها الأحبار والأخبار
هذا إمام المتقين ومن به ... قد دوخ الطغيان والكفار
هذا الذى ترجى النجاة بحبه ... وبه يُحط الإصر والأوزار
هذا الذى تُجدى شفاعته غداً ... حقا وتخمد أن تراه النار
أبناء فاطم هل لنا فى حشرنا ... لجأٌ سواكم عاصمٌ ومجار
أنتم أحباء الإله وآله ... خلفاؤه فى أرضه الأبرار
أهل النبوة والرسالة والهدى ... فى البينات وسادةٌ أطهار
والوحى والتأويل والتحريم والـ ... تحليل لا خلفٌ ولا إنكار
إن قيل مَن خير البرية لم يكن ... إلاكمُ خلقٌ إليه يُشار
لو تلمسون الصخر لانبجست به ... وتفجرت وتدفقت إنهار

شرفت بك الآفاق وانقسمت بك الـ ... أرزاق والآجـــال والأعمـــار !
جلّـت صـفاتك أن تُحـدَّ بمقـولٍ ... مـا يصـنع المصـداق والمكـثار
والله خصّـك بالقـرآن وفضـلـه ... واخجلتى ما تبلغ الأشعـار ؟!

ويقول فى المعز أيضاً:

ومـا سار فى الأرض العريضة ذكرُه ... ولكـنه فـى مسلك الشـمس سالك
وما كـنه هذا النـور نـور جبينـه ... ولكنّ نـور الله فيه مشـارك !!

ويقول فيه أيضاً:

هـو علّـةُ الدنـيا ومـن خُلقت لـه ... ولعلـةٍ مـا كانـت الأشـياء
ليسـت سمـاء الله مـا تـرونها ... ولكـنّ أرضـاً تحـتويه سمـاء
أمّـا كواكـبها لـه فخواضـع ... تُخفـى السـجود ويظهـر الإيمـاء
هـذا أمين الله بيـن عبـاده ... وبـلاده إن عـدّت الأمـناء
نزلـت ملائـكة السمـاء بنصـره ... وأطاعـه الإصـباح والإمسـاء
والدهـر والأيـام فى تصريفهـا ... والنـاس والخضـراء والغـبراء

هـذا هو مبلغ تقديس الشيعة للأئمة والخلفاء، ويفهم مما سبق أن الشيعة تعتقد أن " القـرآن الصحيح " هو ما بين يدها، وعداه بالطبع غير الصحيح والقرآن الصحيح بيدها هـو الـذى يـنص عـلى خلافـة علىّ ووصايته، أى أن الشيعة لم تكتف بوضع الأحاديث وتلفـيق الروايات المؤيدة لأفكارها وعقيدتها فحسب، وإنما مدّت يدها أيضاً بالتحريف إلى القـرآن نفسـه فأضـافت مـا يوافـق هواهـا ويؤيـد دعواها، وهم بعد ذلك لم يقفوا عند حد الـتزوير والتلفـيق والـتحريف وتقديـس الأئمـة .. بـل إن غلاتهـم لم يقفوا عند حد القول بالوصـاية وارتفـاع درجـة الإمـام عـلى درجـة النـبوة، بل ذهبوا إلى القول بألوهية الأئمة أيضاً!

غــــلاة الشيعــــة

منذ تشعبت وكثرت المذاهب والفرق الإسلامية وهى تتصارع فيما بينها، وتتناحر وتتجادل، ويهدم بعضها بعضاً، وهذا شأن المذهبية أينما كانت فى مختلف العقائد والأديان .

فما أن تتشعب الفرق والمذاهب حتى يبدأ أنصار كل فرقة وأتباع كل مذهب فى بيان فضائل مذهبه، وتبيان أساسه الدينى الذى يستند إلى جوهر الدين الصحيح، وهو بذلك ينفى عن سائر الفرق والمذاهب الأخرى أن تكون على الصواب أو الجادة .. فالفرقة الناجية وحدها هى الفرقة التى تنهج النهج القويم الأصيل الصحيح، والتى تتمسك بجوهر الدين وفهمه الصحيح، لكن فى سبيل ذلك، لجأت بعض الفرق إلى التأويل المتعسف، ولجأ بعضها الآخر إلى اختلاق ووضع الأحاديث والروايات . وقد رأينا كيف أن الشيعة وصلت إلى حد الادعاء بأن " القرآن الصحيح " هو " قرآنها " دون سائر الفرق الإسلامية الأخرى !! وإنها مدت يد التحريف لهذا القرآن الذى تدعى صحته !!

ومع ذلك لم تقف الشيعة عند هذا الحد، بل وضعت الكثير من الأحاديث أيضاً واختلقت الكثير من الروايات . ونسبت كل ذلك إلى النبى ﷺ نفسه، وهدفها من ذلك أن تدعم الأساس الدينى لعقيدتها الشيعية وأن تبين لغيرها من الفرق والمذاهب الأخرى أن التشيع يستند إلى الأحاديث النبوية الشريفة، وفى ذلك وضعت الشيعة الكثير من الأحاديث .. منها على سبيل المثال:

- " لو لم يبق من الدهر إلا يوم لبعث الله رجلاً من أهل بيتى يملؤها عدلاً كما ملئت جوراً " .
- و: " نحن ولد عبد المطلب سادة أهل الجنة: أنا وحمزة وعلى وجعفر والحسن والحسين والمهدى " .
- و: " المهدى .. من عترتى من ولد فاطمة " .
- و: " المهدى منا أهل البيت يصلحه الله فى ليلة " .
- و: " يخرج ناس من المغرب فيوطئون للمهدى " .
- و: " لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لبعث الله رجلاً من أهل بيتى، يواطىء اسمه اسمى، واسم أبيه اسم أبى، يملؤها عدلاً كما ملئت جوراً " .

والثابت أن أمثال هذه الأحاديث الموضوعة والمختلقة، لم تروها الكتب الصحيحة

المتشددة فى الرواية، كصحيحى البخارى - محمد بن إسماعيل - ومسلم بن الحجاج النيسابورى، إنما روتها الكتب الأقل تشدداً، كسنن أبى داود وابن ماجه والترمذى والنسائى ومسند أحمد .. وقد نقد علماء الحديث هذه المجموعة من الأحاديث، ورفضها ابن خلدون فى " المقدمة " .

يقول العلامة " دونلدسن ":

" ومما هو جدير بالذكر أن استعمال هذا المصطلح، سبق تدوين الحديث بنحو مائتى سنة، وهى مدة كافية لتبلور فكرة المهدى، ولما كان القرآن نفسه لم يرد فيه ما يؤيد هذه الفكرة، كان من الضرورى الالتجاء إلى الحديث لإثباتها، وقد فنّد ابن خلدون فى مقدمته جميع الأحاديث الواردة فى الترمذى وأبى داود، الواردة فى هذا الصدد، فأشار إلى عدم ورودها فى صحيحى البخارى ومسلم، وأشار إلى أن أحاديث الترمذى وأبى داود مأخوذة عن " عاصم " وعاصم هذا فى حديثه اضطراب، وقد تكلم فيه ابن عُلَيَّة فقال: " كل من اسمه عاصم سيىء الحفظ "، ومع هذا فبالنظر إلى عدم ذكر القرآن شيئاً عن المهدى، وأن الأحاديث الواردة بشأنه كلها ضعيفة أو مشكوك فيها، فإن عقيدة المهدى لا تدخل فى اعتقادات أهل السنة والجماعة " .

* التأويل الشيعى للقرآن:

لم يرد فى القرآن أى ذكر " للمهدى " . ومع ذلك فالشيعة يتعسفون فى تأويل القرآن لإثبات أفكارهم ومعتقداتهم . ومن ذلك تأويلهم لقوله تعالى﴿ **وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ** ﴾ [الزخرف: ٦١] . قال ابن حجر فى صواعقه، عن مقاتل بن سليمان ومن تبعه من المفسرين: " أن هذه الآية نزلت فى المهدى، ولذلك فهم ينسبونها إلى الآيات النازلة فى آل البيت " .

وهم يزعمون أن المقصود بآل البيت فى القرآن فى قوله ﴿ **إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً** ﴾ [الأحزاب: ٣٣] إنما هو علىّ وفاطمة والحسن والحسين . ومن هذا يطلقون على ذراريهم " آل البيت " . لكن الحق أن المقصود بآل البيت فى الآية، زوجات الرسول، إذ أن الخطاب لهن قبل هذه الآية وبعدها .. لكن التعسف الشيعى فى التفسير والتأويل يحمل الآيات على غير مقصودها ومرادها ليحقق أغراضه ويخدم عقائده ولو بإخراج النصوص المقدسة عن معانيها وتحميلها ما لا تحتمله وما لا تدل عليه .

والشيعة لا يتعسفون التأويل للقرآن فحسب، وإنما يبالغون أيضاً فى هذا التعسف إلى حد يبعث على السخرية . فهم مثلاً يفسرون " سورة الشمس " على النحو التالى:

قالوا: " والشمس وضحاها (الشمس هى محمد)، والقمر إذا تلاها (القمر هو علىّ) والنهار إذا جلاّها (النهار الحسن والحسين) والليل إذا يغشاها (الليل هو الأمويون) ! !

ويذكر ابن قتيبة الدينورى بعض صور التعسف الشيعى فى التأويل ويورد بعض الأمثلة على ذلك، فيقول: إنهم يفسرون قوله تعالى:

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً ﴾ [البقرة: ٦٧] ... بأنها عائشة ﷺ !

و: ﴿ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ﴾ [البقرة: ٧٣] .. إنه طلحة والزبير !

ويقولون فى الخمر والميسر: إنهما أبو بكر وعمر ﷺ ! وفى الجبت والطاغوت .. إنهما معاوية وعمرو بن العاص ![1] .. ومن الواضح، بعد ذلك، أن تفسير الشيعة للقرآن كان بعيداً كل البعد عن روحه الظاهرة وعن مادة اللغة نفسها، لكن الشيعة يعتقدون أن هذا التفسير (الباطنى) هو الحق، الذى أراده الله، وأن ظاهر القرآن، إنما هو التفسير المراد للعامة غير الواصلين إلى مراتب المعرفة .

ومما يستند إليه الشيعة، بعد ذلك، فى تبرير عقيدتهم، قول " علىّ " فى نهج البلاغة المنحول عليه: " لتعطفن الدنيا علينا بعد شماسها عطف الضروس (الناقة) على ولدها، وتلا عقيب ذلك ﴿ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴾ [القصص: ٥] .

قال ابن أبى الحديد فى شرح النهج [مجلد ٤ ص ٣٣٦]: " والشيعة الإمامية تزعم أن ذلك وعدٌ منه بالإمام الغائب الذى يملك الأرض فى آخر الزمان ؛ وأصحابنا يقولون إنه وعدٌ بإمام يملك الأرض ويستولى على الممالك، ولا يلزم من ذلك أنه لابد أن يكون موجوداً، وإن كان غائباً إلى أن يظهر، بل يكفى فى صحة هذا الكلام، أن يُخلق فى آخر الوقت " .

على ذلك، فالإمامة عند الشيعة لا ترتبط بوجود الإمام، إذ قد يكون الإمام موجوداً، وقد يكون غائباً، وأياً ما كان فإنه سوف يظهر ويملك الأرض والممالك، وبعض

---

(١) (تأويل مختلف الحديث: ص ٨٦، ط الكردى، القاهرة)

الشيعة يقولون " بالرجعة "، إذ يتشعب الإسلام الشيعى إلى فرق كثيرة منها: الإمامية، والسبأية، والكيسانية، والزيدية، والجارودية، والاثنا عشرية، والإسماعيلية . وقد كان لهذه الفرق صلة عظيمة بأكثر الحركات الثورية الهدامة فى الإسلام مثل: الخوارج، والقرامطة، والحشاشين .

ومن هذه الفرق ما يمضى على نهج التشيع لآل البيت باعتدال، ومنهم الغلاة الذين يقولون بألوهية الأئمة، وبعضهم يقولون بنبوة " علىّ " وهم " الغرابية " القائلون إن محمداً كان أشبه بعلىّ من الغراب بالغراب فالتبس الأمر على جبريل وأعطى الرسالة خطأ لمحمد ! ولا لوم عليه فى هذا الخطأ غير المقصود، بيد أن جماعة منهم تلعنه وتكفّره ؛ لأنه تعمد إعطاء الرسالة لمحمد[1] . وقال العاليا بن ذراع الدوسى ـ وقيل الأسدى ـ صاحب فرقة العليائية ـ بألوهية علىّ، وأنه هو الذى بعث محمداً، وكان يدعو إلى ذمّه قائلاً: إن محمداً قد بعث ليدعو إلى علىّ، فدعا إلى نفسه[2] ! !

وقد اصطدم هؤلاء جميعاً بقول القرآن " محمد رسول الله " فذهبوا ـ موتورين ـ يطعنون فى القرآن وينسجون الأساطير حول شخصية علىّ، فقالوا بحلول جزء إلهى فيه فهم إذا حرمهم الواقع نبوة صاحبهم، يعيشون فى جو ميثولوجى وراء ألوهيته[3] وقد سجلوا كل ذلك فى " قرآنهم الصحيح " وزعموا أن المصاحف الأخرى ـ غير الشيعية ـ هى التى دعا فيها محمد لنفسه بعد طمسه لكل ذكر لعلىّ. فهى مصاحف غير صحيحة !

وكان أول القائلين بألوهية علىّ هو ابن سبأ، فقد زعم أن روح الله حلت فى كل نبى، وأنها تنتقل فيهم الواحد بعد الآخر، وقد انتقلت بعد وفاة محمد إلى علىّ، ثم إلى أبنائه الذين انتقلت إليهم الإمامة، وقد واجه ابن السوداء (ابن سبأ) علياً بعقيدته هذه فنفاه علىّ إلى المدائن وأحرق بالنار كثيراً من رجال فرقته " السبأية " فما كان منهم إلا أن قالوا: " الآن صح عندنا أنه الله لأنه لا يعذب بالنار إلا الله " !

والذين يعتقدون فى ألوهية علىّ يعتقدون فى قدرته على إحياء الموتى، وكان أحد خطباء الشيعة فى بغداد عام ١٠٢ميلادية يدعو فى خطبة الجمعة بعد الصلاة على النبى فيقول: " وعلى أخيه أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب مكلم الجمجمة، ومحيى الأموات البشرىُّ الإلهى، مكلم الفتية أصحاب الكهف " !

---

[2] الملل والنحل: الشهرستانى، سابق، ج ٢ ص ١٢

ومـن فـرق الشـيعة الغـلاة، كانت فرقة " البيانية " ومؤسسها " بيان بن سمعان " وقـيل بـنان، الـتى قالت أيضاً بألوهية علىّ وقد قال " بيان " هذا: " حل فى علىّ جزء إلهـى واتحـد بجسده، منه كان يعلم الغيب، إذ أخبر عن الملاحم وصح الخبر، وبه كان يحـارب الكفـار ولـه النصـر والظفـر، وبـه قلـع بـاب خيـبر " . وقـال عـلىّ نفسـه عن ذلـك: " والله مـا قلعـت بـاب خيبر بقوة جسدانية ولا بحركة غذائية، ولكن قلعته بقوة ملكوتية " . [الملل والنحل: سابق] .

ويقـول مؤلـف " المهديـة فى الإسلام ": إن صاحبنا هذا .. " بيان " لم يقف عند القـول بألوهـية عـلىّ، بـل إنه انساق خلف أضاليل ابن السوداء، فزعم أن الجزء الإلهى فـى عـلىّ قد انتقل منه، بنوع من التناسخ، بعد حلوله فى محمد بن الحنفية ثم فى ابنه أبـى هاشـم إلـيه، أى انتقل إلى " بيان " نفسه، وبذلك استحق أن يكون إماماً، وقد دعا لنفسـه بـالفعل فسـخرت مـنه الشـيعة إلى أن لقـى حتفه حرقاً على يد خالد بن عبد الله القسرى مع المغيرة بن سعيد العجلى عام ١١٩ هـ وكان المغيرة أيضاً من غلاة الشيعة

وبعـد تألـيه علىّ نرى القول بألوهية الأئمة قد انتشر فى الأوساط الشيعية، وقالت بـه عـدة طوائـف منهم، تحدث عنها البغدادى والأشعرى وابن حزم والشهرستانى، فمن هـؤلاء القائلين بحلول الجزء الإلهى فى زعمائهم البشر، أتباع عبد الله بن معاوية بن عبد الله بـن جعفر، الذى حلت فيه عندهم الروح الإلهية، ومن الغلاة من ألَّه أصحاب الكساء الخمسـة، محمـداً وعلـياً وفاطمـة والحسـن والحسين، وقالوا خمستهم شىء واحد والروح حالـة فـيهم بالسـواء لا فضـل لواحـد عـلى الآخـر، وقد كرهوا أن يقولوا فاطمة بالتأنيث فقالوا " فاطم " ! !

ومـن " المغيريـة " من قال بألوهية المغيرة بن سعيد مولى خالد بن عبد الله القسرى أمـا " المنصـورية " فقـد زعمـت أن أبـا منصـور العجـلى قد عرج به إلى السماء، وأن الله سـبحانه مسح بيده على رأسه وقال: " يا بنى .. بلغ عنى " وأنزله بعد ذلك إلى الأرض فهـو " الكسـف " السـاقط مـن السـماء، وهـو المعنىُّ بقولـه تعالى: ﴿ وَإِنْ يَرَوْا كِسْفاً مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطاً ﴾ [الطـور: ٤٤]، فقـيل لهـذه الطائفة " الكسفية " . وكانت خاتمة أبى منصـور هـذا عـلى يـد والى الكوفة يوسف بن عمر أيام هشام بن عبد الملك .. وهناك أيضاً أتباع أبى الخطاب الأسدى الذين يؤلهون جعفراً الصادق، والمقنَّع الخراسانى، الذى زعم أن روح الإله قد حلَّت فيه بعد أبى مسلم، وتابعه فى دعواه هذه أتباع وأشياع كثيرون .. فمن أين استقت الشيعة مثل هذه التعاليم ؟

لقد رأينا كيف تطورت عقيدة " المخلّص " وانبثقت منها عقيدة " المهدى "، وليس من شك فى أن أصول هذه العقيدة متعددة تضرب بجذورها فى مختلف العقائد والأديان اليونانية والفرعونية والهندية والمسيحية واليهودية .. وقد انتقلت آثار هذه العقيدة من تلك الأديان إلى الإسلام الشيعى، وكان ابن السوداء (ابن سبأ) هو أول من أدخل الأفكار اليهودية على الإسلام بعد تأسيسه لفرقة " السبأية " فكان له أسوأ الأثر فى الإسلام وتحريف معتقداته البسيطة السمحة والتشعب فيها والخروج بها عن معانيها وجوهرها وأهدافها، وكان كل هدفه هو الهدم والتخريب .

• فرق الشيعة:

قلنا: إن الشيعة تتعدد فرقها وتختلف وتتراوح بين الغلو والاعتدال، وقد أشرنا إلى بعض هذه الفرق دونما تفصيل، ونود هنا أن نتناول هذه الفرق بشىء من الإيجاز، لأن التعدد المذهبى لا يؤدى إلى فروق جوهرية . فالأصل واحد وهو التشيع لآل البيت، والقول بالإمامة، أما الاختلاف فيكون فيما للإمام من خصائص، وما يترتب على ذلك من الأحكام عند الغلاة خصوصاً كما سنرى .

• السبأية:

السبأية هى أسبق فرق الشيعة ظهوراً على مسرح التاريخ الإسلامى، وإن سبقها متشيعون، لكن ليس بمعنى فرقة ذات عقائد أو كيان، بل بمعنى أنصار وأشياع، وهذا هو المعنى اللغوى للفظ " الشيعة " . وشيعة علىّ أو أنصاره هم الذين ناصروه والتفوا حوله وامتنعوا عن مبايعة أبى بكر فى مؤتمر السقيفة الذى أهدر حقوق بنى هاشم وتناسى قرابتهم للرسول ﷺ [1] .

أما الشيعة " السبأية "، فهم أتباع ابن السوداء عبد الله بن سبأ اليمنى، أحد أحبار اليهود الذين ساءتهم الدعوة الإسلامية، بعقائده البسيطة، كما ساءهم ظفرها وانتشارها، سواء فى ميدان الفكر أو السيف، عندئذ عمد هؤلاء اليهود الحانقون إلى التظاهر بالإسلام، ثم بالتشيع لآل البيت - وهم الجانب الذى يبدو مظلوماً من الجماهير - فاكتسبوا لذلك رضى العامة وثقتهم مما ساعدهم على بث أفكارهم الهدامة ومعتقداتهم الغريبة التى تبعث على الشك أو تحاول العبث بأصول الدين، بغية هدم

---

(1) لا نعلم أحداً امتنع عن بيعة أبى بكر بل إن علياً نفسه بايع أبا بكر وإن لم يكن على الفور (عادل)

المجتمع الإسلامى وتقويض بنائه، وقد أغرق هؤلاء اليهود المتأسلمون السوق الإسلامى ببضاعتهم الإسرائيلية حتى طفحت بها كتب " التفسير"، واتسع بها ميدان " الحديث" وانشغلت بها العقول بين رفض وقبول(١) .

وكان عبد الله بن سبأ اليهودى، مؤسس السبأية، قد ظهر فى خلافة عثمان وتنقل فى البلاد الإسلامية طولاً وعرضاً لنشر دعوته وإضلال المسلمين على حد تعبير الطبرى، وأصله من صنعاء اليمن لكنه طوّف بالحجاز والبصرة والكوفة بالعراق، ثم ذهب إلى الشام . واستقر أخيراً فى مصر، حيث قام بدوره الرئيسى فى المؤامرة ضد " عثمان " ولصالح " علىّ " . وهكذا ظل يبذر بذور الشر ويتصل بكل الروافض لخلافة عثمان، حتى إذا أثمرت بذور الشر فى القلوب وغلى مرجل الأمة الإسلامية، سار مع الركب الذى توجه من مصر إلى المدينة، قبل مقتل " عثمان " محرضاً على الثورة .

وابن سبأ هذا هو الذى زج بنظرية " الجزء الإلهى " للإمام فى البيئة الإسلامية وقال ـ بالتالى ـ بألوهية " علىّ "، وقد كان أيضاً من أول القائلين بعقيدة " المهدية "، وقد زعمها أيضاً فى صاحبه " علىّ " . مستغلاً فى ذلك قرابة " علىّ " من الرسول ﷺ ومصاهرته له، وكيد مؤتمر السقيفة به، وعطف الناس عليه، وقد هم " علىّ " نفسه بقتل ابن السوداء، فصاح به الناس: " يا أمير المؤمنين أتقتل رجلاً يدعو إلى حكم أهل البيت والبراءة من أعدائك " ؟ فاستجاب لهم واكتفى بإحراق عدد كبير من أتباعه . أما ابن السوداء فقد نفاه إلى ساباط المدائن، خوفاً من شماتة أهل الشام واختلاف أصحابه عليه كما يقول البغدادى فى الفرق بين الفرق [ص ١٤٣] .

وفى المدائن ظل ابن سبأ يروج بضاعته، والتف حوله أنصار وأشياع كثيرون، حتى جاء إليه نعى " علىّ "، فقال لناعيه: " كذبت، لو جئتنا بدماغه فى سبعين صُرَّة، وأقمت على قتله سبعين عدلاً، لعلمنا أنه لم يمت ولم يقتل، ولا يموت، حتى يسوق العرب بعصاه، ويملك الأرض فيملؤها عدلاً كما ملئت جوراً " . ومن ثم قال ابن سبأ " برجعة " علىّ كمهدىّ فى آخر الزمان ! !

* الكيسانية:

تنسب الكيسانية، أهم فرق الشيعة، إلى " كيسان " وهو: " المختار بن أبى عبيد بن مسعود بن عمرو الثقفى " المولود فى السنة الأولى من الهجرة، وهو مولى أمير المؤمنين علىّ عليه السلام ، وقيل " تلميذ للسيد محمد بن الحنفية " وقد لقب المختار بكيسان لأنه

تلقى العلم عن " كيسان " مولى علىّ . وهو الذى حمله على طلب دم الحسين وعرّفه بقتلته . وقد كان للمختار هذا فى العصر الأموى تاريخ يدل على دهاء سياسى كبير، وإن لم يكن مشرفاً من الناحية الأخلاقية، فهو لا يعرف الإخلاص قط ولا الثبات على المبدأ، كان خارجياً، ثم ثار ضد بنى أمية مشايعاً لابن الزبير، ثم تشيع لآل البيت خالعاً طاعة الزبير، ثم تحلل من تشيعه وهو فى أوج عظمته وحارب الشيعة، ثم خرج من الإسلام عامة وادعى النبوة .. وإلى القارئ نسوق شيئاً من قرآنه الذى ادعى أنه أوحى به إليه، يقول:

" أما والذى أنزل القرآن، وبيّنَ الفرقان، وشرع الأديان، وكره العصيان، لأقتلن البغاة، من أزد عمان، ومذحج وهمذان، ونهد وطولان، وبكر وهزّان، وثُعل ونبهان، وعبس وذبيان، وقيس وعيلان - وحق السميع العليم، العلى العظيم، العزيز الحكيم، الرحمن الرحمن، لأعركنّ عرك الأديم، أشراف بنى تميم .. "! ..

ويقول: " أما وممشى السحاب، الشديد العقاب، السريع الحساب، العزيز الوهاب، القدير الغلاب، لأنبشنّ قبر ابن شهاب (محمد بن مسلم بن شهاب الزهرى ؛ الإمام)، المفترى الكذاب، المجرم المرتاب، ثم وربّ العالمين، ورب البلد الأمين، لأقتلن الشاعر المهين، وراجز المارقين، وأولياء الكافرين، وأعوان الظالمين، وإخوان الشياطين، الذين اجتمعوا على الأباطيل، وتقولوا علىّ الأقاويل، وليس خطابى إلا لذوى الأخلاق الحميدة، والأفعال السديدة، والآراء العتيدة، والنفوس السعيدة .. إلخ"[1] .

وقد حقق المختار نجاحاً سياسياً باهراً، فلم يكتف بادعاء النبوة على هذا النحو بل شطح به الطموح بعد ذلك فادعى الألوهية ! وتاجر أولاً بعقيدة المهدية فنادى بمهدية محمد بن الحنفية (أحد أبناء علىّ من غير فاطمة) . فالتفت حوله الشيعة حتى غلب على الكوفة واستولى عليها، كما استولى على بعض الجهات فى الجزيرة، وكان محمد بن الحنفية صاحب نفوذ روحى كبير لدى الشيعة لكنه مات دون أن ينجح فى استغلال هذا النفوذ سياسياً، وقد مات ابن الحنفية عام ۸۱ هجرية ومات قبله " المختار الملقب بكيسان " عام ٦٧ هجرية، وكان موته بعد ادعاء النبوة والألوهية وتأسيس فرقة الكيسانية التى زعمت أن الله قد عاقب ابن الحنفية (المهدى) بحبسه حياً فى جبل رضوى لمبايعته عبد الملك بن مروان وتخليه عن مهديته وإمامته للشيعة !

---

(١) [البغدادى: الفرق بين الفرق، نشر العطار، القاهرة، ص ۳۱]

واختلفت الكيسانية بعد موت ابن الحنفية، فبعضهم يرى موته . وبعضهم يقول بحبسه فى جبل رضوى حياً، وقد انتقلت الإمامة من بعده إلى ولده أبى هاشم، وبعضهم أرجع الإمامة إلى ابن أخيه علىّ بن الحسين، والذين لا يؤمنون بموته هم " الكربية "، أصحاب أبى كرب الضرير، فهو عندهم مقيم برضوى ومعه أربعون من الصحابة، وهو عندهم حى يرزق، عنده عينان من عسل وماء، وعن يمينه أسد وعن يساره نمر، يحفظانه من أعدائه إلى وقت خروجه، وتنزل عليه الملائكة فتراجعه الكلام وتؤنسه هو وأصحابه، وقد اختلفوا فى سبب حبسه، كما اختلفوا فى حياته أو موته[1] .

* **الزيدية:**

هى الفرقة الرئيسية الثالثة من فرق الشيعة:

تنسب هذه الفرقة إلى زيد بن علىّ بن الحسين بن علىّ، الذى ثار بالكوفة داعياً إلى نفسه عام ١٢٢هـ - ٧٤٠م، إلا أن الخليفة الأموى هشام بن عبد الملك أخمد فتنته وقضى عليه وصلبه، وقطع رأسه ونصبها على باب دمشق وظل البدن مصلوباً دون الرأس إلى أن مات هشام فأمر به الوليد فأنزل وأحرق ثم دفن[1] .

بعد وفاة زيد تابع ابنه يحيى الدعوة من بعده، فهرب إلى خراسان وخرج ثائراً فى " جوزجان " على نصر بن سيار، وإلى خراسان، ولكنه لم يفلح، وقضى عليه نصر ابن سيار عام ١٢٥هـ - ٧٤٣م ؛ وأرسل رأسه إلى الوليد بن يزيد .

وقد انشعبت الزيدية إلى عدة فرق تختلف مذاهبها فى عقيدة المهدية، إثباتاً ونفياً، فمثلاً " السليمانية " أتباع سليمان بن جرير الزيدى، والأبترية أو " الصالحية " أتباع الحسن بن صالح بن حى (المتوفى عام ١٦٩هـ) وكثيّر النوّاء الملقب بالأبتر، تنكران المهدية، لرفضهما القول برجعة الأموات إلى الدنيا قبل القيامة . وتعاليمهما، فى الجملة، هى تعاليم زيد بن علىّ نفسه، والصالحية هى أقرب فرق الشيعة إلى السنة، وبالتالى فهى لا تقول بصفات النبوة والألوهية للأئمة وتنكر ما ينسب لهم من العلم الباطنى .. أما " الجارودية "، من الزيدية، أتباع أبى الجارود زياد بن المنذر العبدى، المتوفى عام ١٥٠ هجرية، فتقول بمهديه " محمد بن عبد الله " الملقب بالنفس الزكية، وهو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علىّ بن أبى طالب .

---

(١) [الطبرى: ج ٨ ص ٢٧٧ ط الحسينية]

ولـد مهـدى الجاروديـة الملقب بالـنفس الزكية عام مائة من الهجرة، وبين كتفيه خـال أسـود كـبير اتخـذوه ـ فـيما بعـد ـ علامـة لـلمهدية، وكـانوا يقولون عن النبى فى أحاديـثهم إنـه قـال: إن اسـم المهـدى " محمـد بن عبد الله " . ففرحوا لمولده ورجوا أن يكـون مـنقذهم ومخلصـهم مـن مظالم بنى أمية، وقد شب محمد هذا وتلقى العلم عن ابن طـاوس كما تتلمذ أيضاً لشيخ الاعتزال واصل بن عطاء وغيره، وكان فى لسانه رُتَّة تحبس الكـلام فـى صدره ؛ ولـذا كـان قـليل الحديـث . ولكـن الشـيعة حولـت هذا العيب فى مهديهم إلى علامة من علامات المهدية ! !

واعـتقد " الـنفس الزكية " أنه المهدى حقاً، وراح يدعو لنفسه منذ صباه، وساعده الهاشمـيون مـن عباسـيين وعلويـين جمـيعاً، ليتخلصـوا بـه مـن نير بنى أمية ومن مظالم البيـت المـروانى الحـاكم . وقـد بايعـه بالمهديـة الهاشمـيون جميعاً ومنهم: إبراهيم الإمام والسـفاح وأبـو جعفر المنصور، الذين أقاموا دولة بنى العباس بعد ذلك، ثم أسرف السفاح فـى الـتخلص مـن أعداء الدولة العباسية بعد تقويض الدولة الأموية، وساء محمد بن عبد الله (المهـدى) الملقب بالنفس الزكية أن يستأثر بنى العباس بالملك بعد استغلالهم لدعوة المهديـة وكفاحهـا، فخرج على الدولة العباسية أثناء حكم المنصور، وطالب الناس بالوفاء له بالعهد وتجديد البيعة بالمهدية، وأنكر أبو جعفر المنصور مهدية " النفس الزكية " بعد أن كان يعضدها ويستخدمها لتقوية أركان دولته .

ثـم نشـر بـين الـناس أن المهـدى هـو ابـنه ولـيس " النفس الزكية "، ثم لم يلبث المنصـور أن أعلن الحرب على " النفس الزكية " وأرسل إليه الجنود فدهموه فى "المدينة" فقتلوه فى رمضان ١٤٥ هجرية .

ولم تؤمـن " الجاروديـة "، من " الزيدية " بموت " النفس الزكية " . فهو عندهم حـىٌ لم يقـتل، " ولا يمـوت حـتى يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً " ! ويشاركهم فى هـذا المعـتقد " المحمديـة " إحـدى فرق " الإمامية " فهم ينتظرون محمداً هذا، ويزعمون أنه مقيم بجبل حاجز من ناحية نجد إلى أن يؤمر بالخروج .

ومـن " الجاروديـة " مـن ينـتظر " محمـد بـن القاسـم " من نسل الحسين، القائم بالطالقـان أيـام المعتصـم، وقـد أسر وحمل إلى الخليفة، فحبس فى داره حتى مات . ولم يؤمـن أنصـاره بموته، ومن الجارودية أيضاً من ينتظر " يحيى بن عمر " من نسل زيد بن عـلى، الـذى قام بالكوفة عام ٢٥.هـ فى عهد الخليفة العباسى المستعين بالله فقتل، وقد

أثبت الأشعرى فى " مقالات الإسلاميين ": أن الفرقة الخامسة من الزيدية لا تنكر الرجعة، وهم يتبرأون من أبى بكر وعمر، ولا ينكرون رجعة الأموات قبل يوم القيامة .

* **الإمامية:**

هى أكثر فرق الشيعة انشعاباً، اذ انشعبت هذه الفرقة إلى ما يزيد على خمس عشرة فرقة، لكل فرقة مهدى خاص !

وأهم فرق الشيعة الإمامية خطراً وانتشاراً، هما " الاثنا عشرية " و "الإسماعيلية" ونظراً لأهميتهما فسيقتصر عليهما حديثنا .

- الاثنا عشرية:

سبب تسميتهم بذلك ادعاؤهم أن الإمام المنتظر هو الثانى عشر من أولاد على بن أبى طالب، وقد قالوا بوجود سلسلة من اثنى عشر إماماً، أوحى الله تعالى بهم لنبيه محمد، وعيَّنهم بأسمائهم ؛ فقد انتقلت الإمامة من أمير المؤمنين علىّ المرتضى، إلى الحسن المجتبى، ثم الحسين الشهيد، فالسجَّاد علىّ زين العابدين، فولده محمد الباقر، فابنه جعفر الصادق، فموسى الكاظم، فعلىّ الرضا، فمحمد التقى، فعلىّ النقى، فالزكى حسن العسكرى (نسبة إلى مدينة العسكر)، ثم الحجة محمد المهدى ويكنى بأبى القاسم، ويلقب بالقائم والمهدى وصاحب الزمان .

محمد المهدى إذن هو خاتم الأئمة الاثنى عشر، وقد ولد ببغداد سنة ٢٥٥هـ، وقالت قابلته: إنها سمعته يتكلم فى المهد ! ويقرأ القرآن حين نزل من بطن أمه ! ! ومات أبوه وهو ابن سنتين، وقيل خمس سنين، آتاه الله فيها الحكمة كما آتاها يحيى صبياً .. وقد اختفى محمد هذا ولما يبلغ الثامنة من عمره، عام ٢٦٥هـ، ويزعمون أنه دخل مع أمه سرداباً " بالحلّة " بالقرب من بغداد، ففقد ولم يعد، فهم ينتظرونه إلى الآن . ويقال إنهم يقفون كل ليلة بباب السرداب، ببغلة ملجومة من الغروب إلى مغيب الشفق، ينادون: " أيها الإمام، قد كثر الظلم وظهر الجور فاخرج إلينا "، ثم يرجعون إلى الليلة الأخرى، وهم يسبغون على باب هذا السرداب ستراً من الحرير ويسمونه مشهد صاحب الزمان .

ويخرج إليه فى كل ليلة مائة رجل من أهل المدينة بعد صلاة العصر، فيضربون الطبول والبوقات أمام البغلة الملجمة، ويتقدمها خمسون منهم ويتبعها مثلهم، ويمشى

آخرون عن يمينها وشمالها، ويأتون المشهد فيقفون ببابه وينادون الإمام وهم يضربون الطبول . ولا يزالون كذلك إلى صلاة المغرب[١] .

لكن هناك من ينكر وجود " محمد المهدى " هذا، ويدعى أن والده الإمام " حسن العسكرى " مات ولم يخلف ولداً، يؤكد هذا المعتقد الميرزا عبد الحسين أواره فى "الكواكب الدرية فى تاريخ ظهور البابية والبهائية "[٢] ويؤكد أن الشيعة لم يرق لهم ذلك فأشاعوا نقيضه، وزعموا أن للإمام العسكرى ولداً صغير السن يخفيه عن أعين الناس وهو الآن فى الغيبة الصغرى . وعلى أثر تلك الإشاعة قام أربعة رجال، الواحد بعد الآخر، وادعوا النيابة عن الإمام الغائب، وعرفوا باسم (النواب الأربعة) .

ويقول " ميرزا حسين أواره ": فى عام ١٦.هـ مات النائب الرابع (محمد بن عثمان السرى) وقد قرر وهو يحتضر سدَّ باب النيابة، وابتداء غيبة الإمام الكبرى . وقد بذل علماء الشيعة كل جهدهم فى تأييد هذا المعتقد بكافة الحجج والبراهين المكنة

- الإسماعيلية:

تنتسب هذه الفرقة إلى الإمام السابع " إسماعيل "، الابن الأكبر للإمام السادس جعفر الصادق . وكان جعفر قد عيّن إسماعيل خلفاً له لكنه وجده ذات مرة ثملاً مخموراً وقد تكرر منه ذلك، فخلعه وعين ابنه الثانى " موسى "، ولكن الإسماعيلية لا تسلم بنزع الإمامة من إسماعيل ؛ لأنهم يرون عصمة الإمام، وشرب الخمر عندهم لا يقدح فى عصمته ! ويلومون جعفراً على فعلته التى تمس عصمة الإمام والترتيب الإلهى المقدس للأئمة . وقد توفى إسماعيل هذا سنة ١٤٣هـ - ٧٦.م، أى قبل وفاة أبيه بخمس سنين . وقد أراد جعفر أن يؤكد وفاة ابنه، إلا أن الإسماعيلية أيضاً لم يسلموا بموته . وزعموا أنه كان حياً بعد وفاة أبيه بخمس سنين، وأنه رؤى فى سوق البصرة، حيث وضع يده على مُقعَد فأبرأه .. !

وقد انتقلت الإمامة، بعد ذلك، من إسماعيل إلى ولده " محمد الكتوم " الذى أصبح الإمام السابع الحقيقى، وحل بذلك محل أبيه، وهو أول الأئمة المستورين، الذين تفرقوا فى البلاد مختفين بسبب الاضطهاد السياسى الذى حاق بالعلويين جميعاً . وكان هؤلاء الأئمة المستورون يبعثون إلى العالم الإسلامى بالدعاة، مجتنبين المجاهرة بالدعوة إلى أن مات الإمام محمد الحبيب بن جعفر الصادق بن محمد الكتوم بن إسماعيل، آخر هؤلاء الأئمة المختفين، وحانت عقب موته اللحظة التى أثمرت فيها تعاليم الحركة

الإسماعيلية السرية بظهور ولده " عبيد الله "، على اعتبار أنه المهدى المنتظر، وقد دعا إليه أبو عبد الله الشيعى فى صحارى المغرب ونجح، وتمكن أبو عبيد الله المهدى ـ بعد حروب ـ من خلع ملك الأغالبة، وتأسيس دولة "بنى عبيد" الفاطمية فى شمال أفريقيا فى أواخر القرن الثالث الهجرى عام ٢٩٦هـ ـ ٩٠٩م .

وللشيعة الإسماعيلية دعوة سرّية فلسفية إلحادية، لها درجات ومراتب، قال عنها الإيجى فى المواقف (ص ٤٢٢) والبغدادى فى الفرق بين الفرق (ص ١٧٩)، إن مرتب الدعوة عندهم هى: (١) الذوق (٢) والتأنيس (٣) والتشكيك (٤) والربط (٥) والتدليس (٦) والتأسيس (٧) والخلع (٨) والسلخ .

فالدرجة الأولى (الذوق) هى التفرس فى حالة المدعوّ لمعرفة مدى قابليته للدعوة ؛ ولذلك منعوا إلقاء البذر فى السبخة والتكلم فى بيت فيه سراج ! والدرجة الثانية (التأنيس) باستمالة كل شخص بما يميل إليه من الزهد أو الخلاعة ! والثالثة (التشكيك) فى أركان الشريعة بمقطعات السور، وقضاء صوم الحائض دون قضاء صلاتها، والغسل من المنى دون البول، وعدد الركعات، والرابعة (الربط) أخذ الميثاق منه بحسب اعتقاده على أن لا يفشى لهم سراً وتحويله على الإمام فى حل ما يشكل عليه .

والخامسة (التدليس) وهو ادعاء موافقة أكابر الدين والدنيا لهم، والسادسة (التأسيس) وهو التمهيد بمقدمات يقبلها المدعوّ، والسابعة (الخلع) وهو الطمأنينة إلى إسقاط الأعمال البدنية، والثامنة (السلخ) عن الاعتقادات، وعندئذ يأخذون فى استعجال اللذات وتأويل الشرائع .. ثم يؤخذ العهد على المريد ليدخل فى فرقة الإسماعيلية، وينتقل إلى الرتبة الثانية فيعرف الأئمة، فينتقل إلى الرتبة الثالثة لمعرفة الإمام الحق الصحيح دون سائر الأئمة، فينتقل إلى الرتبة الرابعة ليعرف الأنبياء الناسخين للشرائع وأنهم سبعة كعدد الأئمة، ولكل واحد منهم صاحبه الذى يأخذ عنه الدعوة ويحفظها لأمته ويكون له خليفة بعد موته، وأن آخر الأنبياء محمد ﷺ وصاحبه وخليفته علىّ بن أبى طالب ومن بعده ستة ورثوا أسرار الشريعة آخرهم صاحب الزمان .

ثم ينتقل الداعى إلى المرتبة الخامسة ليعرف أنه لابد لكل إمام من أعوان فى كل زمان عددهم اثنا عشر رجلاً، ثم ينتقل إلى المرتبة السادسة ليفسر شرائع الإسلام فى الصوم والزكاة والحج والطهارة وجميع الفرائض بالمخالفة للظاهر، وبيان أن هذه الأشياء

جاءت كرموز لمصلحة العامة وسياستهم لكى ينشغلوا بها عن بغى بعضهم على بعض ولكى تبعدهم عن الفساد فى الأرض ..

وبعد مدة يرسخ فيها اعتقاد الطالب بأن أحكام الشريعة كلها وضعت على سبيل الرمز لسياسة العامة، وأن لها معانى أخر غير ما يدل عليه الظاهر، نقله الداعى إلى الكلام فى الفلسفة والنظر فى أقوال الفلاسفة أمثال أفلاطون وأرسطو وفيثاغورث، ونهاه عن قبول الأخبار والاحتجاج بالسمعيات، وزين له الاقتداء بالأدلة العقلية والتعويل عليها . فإذا رسخ عنده ذلك نقله إلى المرتبة السابعة ويحدثه فيها عن الناصب للشريعة وأنه لا يستغنى بنفسه إذ لابد له من صاحب يعبر عنه فيكون أحدهما الأصل والآخر يصدر عنه .

ثم ينتقل الداعى إلى المرتبة الثامنة فيقرر أن للقرآن والقيامة والثواب والعقاب، معناها: سوى ما يفهمه العامة، وليس هو إلا حدوث أدوار عند انقضاء دور من أدوار الكواكب وعوالم اجتماعها من كون وفساد، جاء على ترتيب الطبائع، ثم ينتقل الداعى إلى المرتبة التاسعة ليخرج بنتيجة عمله فى المراتب السابقة كلها . فإذا أيقن أن المدعو تأهل لكشف السر والإفصاح عن الرموز أحاله على ما تقرر فى كتب الفلاسفة من علم الطبيعيات وما بعد الطبيعة والعلم الإلهى .

فإذا تمكن الطالب من هذه العلوم . كشف الداعى قناعه وشرح لتلميذه أن الوحى ما هو إلا صفاء النفس، فيجد النبى فى فهمه ما يُلقى إليه ويتنزل عليه فيبرزه إلى الناس ويعبر عنه بكلام الله . الذى ينظم به النبى شريعته بحسب ما يراه من المصلحة فى سياسة العامة، ولا يجب عندئذ العمل بها إلا بحسب الحاجة من رعاية مصالح الدهماء، بخلاف العارف . فإنه لا يلزمه العمل بها، ويكفيه معرفته أنها اليقين الذى يجب المصير إليه .. وماعدا المعرفة من سائر أمور الشرع فإنها أثقال وأضرار، حملها الكفار أهل الضلالة .. فالأنبياء أصحاب الشرائع إنما هم لسياسة العامة، أما الفلاسفة فهم أنبياء الحكمة الخاصة !!

وقد انشعبت الإسماعيلية إلى فرق كثيرة، منها " الدروز " أتباع حمزة بن علىّ وأبى محمد الدرزى، وكانوا يقولون بألوهية الخليفة الفاطمى الإسماعيلى الحاكم بأمر الله، ويعتقدون رجعته إلى الدنيا .

* **تراث الشيعة:**

قالت الشيعة بتحريف القرآن والأحاديث، وهى تزعم أن القرآن الصحيح، والأحاديث الصحيحة تشكل التراث الشيعى مع سائر العلوم السرية المكنونة عند الأئمة، وأن هذا التراث سيظهر بظهور المهدى المنتظر، وهو تراث ضخم ينحدر إلى الأئمة من الإمام الأول علىّ . ويقول موسى جار الله فى "الوشيعة فى نقد عقائد " الشيعة " : عندما يظهر المهدى المنتظر سيكون معه: حجر موسى، به يطعم جيشه ويسقيه، والجفران: الأكبر والأصغر، ومصحف علىّ . ومصحف فاطمة، والجامعة، وصحيفتان ؛ إحداهما فيها أسماء شيعته وأنصاره إلى يوم القيامة، وفى الأخرى أسماء أعدائه، وسيكون معه أيضاً درع النبى وسيفه ذو الفقار[1] .

والجفران، بزعم الشيعة، إهاب ماعز وإهاب كبش، فيهما زبور داود وتوراة موسى وإنجيل عيسى وعلوم الأنبياء والأوصياء ومن مضى من علماء بنى إسرائيل، وفيهما عامة الحلال والحرام، وعلم ما كان وما سيكون . وكلمة " الجفر " تطلق على الكتب الخفية الغامضة التى تبحث فى التنبؤات العامة .

ويتناول هذه الكتب بالشرح كل من يشتغل بالسحر والطلاسم، ويعتمد التفسير الباطنى الشيعى للقرآن على " الجفر " وعلومه السرية .

* **الشيعة وتحريف القرآن:**

تزعم الشيعة أن "القرآن الصحيح" الذى نزل به جبريل من السماء هو " مصحف علىّ "، وهو يختلف عن مصحف أهل السنة، وقد روى الكافى عن الصادق أن القرآن الذى نزل به الوحى على محمد سبعة آلاف آية، والتى بأيدينا منها ستة آلاف ومائتان وثلاث وستون آية فقط، والبواقى مخزونة عند أهل البيت، فيما جمعه علىّ بن أبى طالب، قال " الكلينى " فى الكافى [ج١ ص ١١.]: " إنه لم يجمع القرآن كله إلا الأئمة، وأنهم يعلمون علمه كله، وقد كذب من ادعى من الناس أنه جمع القرآن كله، فما جمعه وحفظه كما أنزله الله إلا علىّ بن أبى طالب والأئمة من بعده " .

وليس مصحف السنة ناقصاً فحسب، بل هو عند غلاة الشيعة مغيّر مبدّل ؛ تعمد جامعوه حذف الآيات النازلة فى علىّ ووضع أخرى مكانها فى محمد، وفى ذلك قال عبد القاهر البغدادى فى " أصول الدين ": " والخلاف الثالث مع الروافض الذين قالوا: لا حجة اليوم فى القياس والسنة ولا فى شىء من القرآن، لدعواهم وقوع التحريف فيه

من الصحابة، وقد زعموا أن الحجة هو قول الإمام الذى ينتظرونه، وهم قبل ظهوره فى التيه حيارى، إلى أن يستنقذهم الإمام المنتظر، إذا ظهر، بزعمهم " .

وقد أشار إلى ذلك أيضاً ابن حزم فى " الفصل فى الملل والأهواء والنحل " [ج٤ ص ١٨٢ ط مطبعة التمدن] فقال: " ومن قول الإمامية كلها، قديماً وحديثاً، أن القرآن مبدَّل ؛ زيدَ فيه ما ليس منه، ونقص منه كثير وبُدِّل منه كثير " .

أما مصحف فاطمة فهو قرآن من نوع آخر، مخزون عند آل البيت، إلى أن يخرج المهدى به، قال " الكلينى " فى " الكافى ": " قال الصادق: هو مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات، والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد، مكثت فاطمة بعد النبى خمساً وسبعين يوماً، صُبَّت عليها مصائب من الحزن لا يعلمها إلا الله، فأرسل الله إليها جبريل يسليها ويعزيها ويحدثها عن أبيها وعما يحدث لذريتها، وكان علىّ يستمع ويكتب ما سمع، حتى جاء منه مصحف قدر القرآن ثلاث مرات، ليس فيه شىء من حلال ومن حرام، ولكن فيه علم ما يكون " .

أما " الجامعة " .. فقد قالوا إنها صحيفة طولها سبعون ذراعاً، فيها جميع ما يحتاج إليه الناس وأنها من إملاء النبى وخط علىّ ! ! فإن كان مصحف علىّ يزيد عن مصحف السنة مما زُيِّد فيه يكون من وضع وتحريف الشيعة، أما " مصحف فاطمة " فموضوع كله بأيدى الشيعة ! !

وليس من شك فى أن السنة يقطع أهلها بتكفير من شك فى القرآن أو قال بنقصه أو تبديله، مجمعين على أن مصحف عثمان هو الذى نزل به جبريل من السماء على النبى ﷺ، كما ينكرون نزول جبريل على أحد بعد موت النبى ﷺ . ويعتقدون أن جميع ما نسب إلى جعفر الصادق كان مدسوساً عليه، بما فى ذلك ما يحمل اسمه من الكتب الموضوعة فى السحر والتنجيم والكيمياء .

وبعد ..

فقد تناولنا فكرة " المهدية " منذ نشأتها، عند الشيعة، وتطورها من فكرة إلى عقيدة خاصة لمذهب متعدد الفرق، يتشيع أنصاره لآل البيت، على أن فكرة "المهدى" لم تكن قاصرة على أهل التشيع لآل البيت وحدهم، إنما ساهمت المهدية الشيعية فى ظهور نوع آخر من التشيع وادعاء " المهدية " من غير آل البيت، وسوف نتابع تطور هذه الفكرة ونرصد دعاتها عند من ادعوا المهدية من غير آل البيت .

المهديون من غير آل البيت

هناك الكثير من المصادر القديمة التى تحدثت عن المهدية وتناولت المهديين من غير آل البيت، سواء منهم من كان يعتقد فيهم الناس المهدية، أو من كانوا يدّعونها لأنفسهم، ومن ذلك أن الناس كانوا يعتقدون أن " موسى بن طلحة بن عبيد الله " هو المهدى المنتظر، ذكر ذلك ابن سعد كاتب الواقدى فى طبقاته .

وقال أيضاً: إن التابعى الكبير سعيد بن المسيِّب كان يقول بمهدية " عمر بن عبد العزيز "، أما الطبرى فيقول إنه فى عام ١٢٨هـ قد ادّعى " الحارث بن سُريج " أنه المهدى المنتظر، صاحب الرايات السود، لكن دعوته لم تنجح، ويقول مؤلف " المهدية فى الإسلام " أنه من غير البعيد أن يكون صاحبنا هذا قد ابتدع الحديث الذى رواه أبو داود . والذى يقول: " يخرج رجل من وراء النهر يقال له الحارث الحراث، على مقدمته رجل يقال له منصور، يوطىء أو يمكّن لآل محمد، كما مكنت قريش لرسول الله، وجب على كلٍ نصره " . وقد رفعه إلى النبى ليتخذ منه سلاحاً وتكأة لتأييد مزاعمه، ولكن الحكومة القوية وقتها أخمدت أنفاسه .

وقد ذهب بعض طوائف " الخُرَّمِيَّة " أتباع بابك الخُرَّمى إلى أن " أشيدراما " أحد أعقاب " زرادشت " الذى ينتظر المجوس عودته كمخلّص فى آخر الزمان هو بعينه " أبو مسلم الخراسانى " أحد مؤسسى دولة بنى العباس . والذى فتك به المنصور، خدعه بعد أن أمنه، غير أن الخُرَّمِيَّة لم تؤمن بموته وانتظروا رجعته . وقد فرّ رجل يدعى " إسحق التركى " بعد موت أبى مسلم الخراسانى إلى بلاد ما وراء النهر، ونصب نفسه داعية له وزعم أن مولاه قد اختفى بمدينة " الرى " وأنه نبى أرسله " زرادشت " وسيعود حتماً إلى الوجود لينشر الزرادشتية ويرفع لواءها .

* ابن تومرت مهدى الموحدين:

كذلك وجدت عقيدة " المهدية " رواجاً عظيماً فى المغرب بين القبائل البدائية.
قال "ياقوت" عن أهل المغرب: " البربر أجفى خلق الله وأكثرهم طيشاً، وأسرعهم إلى الفتنة وأطوعهم لداعية الضلالة وأصغاهم لنمق الجهالة، ولم تخل أجيالهم من الفتن وسفك الدماء قط، وكم من ادّعى النبوة فيهم فقبلوا، وكم زاعم فيهم أنه المهدى الموعود فأجابوا دعوته ولمذهبه انتحلوا، وكم ادّعى فيهم مذهب الخوارج، فإلى مذهبهم ـ بعد الإسلام ـ انتقلوا " .

وكانت أخطر الحركات المهدية في المغرب، الحركة الكبرى التي تزعمها محمد ابن تومرت، والتي أقامت دولة الموحدين على أنقاض الدولة المرابطية، وهي وإن قامت باسم " المهدى " لم تكن قط ذا طابع ديني خاص تطبع به الجماهير، لكن كان ابن تومرت على براعة وذكاء، وكان حازماً زاهداً . كما كان نفوذه الروحي أقوى دعامة لقيام دولته، وكان عالماً بالدين حافظاً للحديث، لكنه كان شكاكاً لا يتردد عن إراقة الدماء . ولم يكن ميالاً إلى الدنيا ومظاهرها ومباهجها فكان بسيط الزى، على مهابة، ويندرج مع المهديين من غير آل البيت، لأنه بربرى الأصل، وإن اختلق لنفسه نسباً عربياً ينتهى به إلى علىّ بن أبى طالب أو إلى الرسول نفسه، وكان مولد " محمد بن عبد الله بن تومرت المصمودى البربرى " عام ٤٨٥هـ ـ ١٠٩٢م فى قرية من قرى هرغة أحد بطون مصمودة .

وقد ارتحل لطلب العلم فذهب إلى العراق والتقى فيها بالغزإلى والكيا الهراسى والطرطوشى وغيرهم وأخذ عنهم الحديث وأصول الفقه والدين . وكان يتعرض للأذى بسبب شدته وغيرته الشديدة على الدين، وقد تحمل الأذى فى مكة وفى مصر التى طرد منها فعاد إلى المغرب وأقام فى أحد مساجد بلدة " المهدية " وادعى أن عنده نسخة من كتاب " الجفر " وأن رجلاً سيظهر فى بلدة حروفها " ت.ى.ن.م.ل " (تينمل) وأن أكبر أصحابه رجل اسمه ع.ب.د.ا.ل.م.و.م.ن (عبد المؤمن) وأن أوانه قد أزف . ويقول " أحمد أمين ": إنه كان من مكره: أنه لقى رجلا قديراً اسمه عبد الله الونشريشى، كان عالماً فصيحاً باللغة العربية والبربرية فصحبه وأوعز إليه ابن تومرت أن يتغابى ويتجاهل حتى إذا جاء الوقت أوعز إليه بالفصاحة والعلم وادّعى شيخه أن هذه إحدى معجزاته .. فكان ذلك .. وصحبه .. وذهب إلى أقصى المغرب وتحدث فى تغيير الدولة مع خاصته، وتنبه الملك لحركة هذا المهدى، وهرب المهدى بن تومرت إلى الجبال وبث دعوته فى سكانها حتى التفوا حوله وتسلحوا فكوّن بذلك جيشاً عدده عشرة آلاف رجل . وقد انهزم أتباعه فى أول الأمر، لكنهم انتصروا بعد ذلك، وكان من ألاعيبه أن استنطق رجلاً من أهل الجبل فسأله: عرفنا أسعداء نحن أم أشقياء ؟ فقال له: أما أنت فإنك المهدى القائم بأمر الله ومن تبعك سعد، ومن خالفك هلك، ثم عرض أصحابه على هذا الرجل وطلب إليه أن يميز أهل الجنة من أهل النار وكان قد اتفق معه على أن يجعل أعداءه من أهل النار فيتخلص منهم[1] .

ومات هذا المهدى قبل أن ينتصر فخلفه " عبد المؤمن " فكان أحسن حظاً من شيخه، وفتح الكثير من بلاد المغرب والأندلس، فكانت هذه مملكة عظمى، من بركات

المهدى المنتظر، تشمل المغرب كله إلى حدود مصر والأندلس . وكانت دولة شيعية تستند على فكرة " المهدى " . وقد ترك ابن تومرت تعاليمه مدونة فى كتاب أملاه خليفته " عبد المؤمن بن علىّ " هو: " أعز ما يطلب "، نشره لوسيانى بالجزائر عام ١٩٠٣ . كما ترك رسالة قصيرة باسم " عقيدة ابن تومرت "، وقبر ابن تومرت لا يزال موجوداً فى " تينمل " . وقد شجع نجاح دعوة مهدى الموحدين بعض المغاربة على أن ينهجوا نهجه فخرج فى عصر السلطان يوسف بن يعقوب (أوائل القرن الثامن الهجرى) داعية يعرف بالتويزرى، زعم أنه المهدى فاجتمع حوله كثير من الناس لكنه قتل غيلة قبل أن يستفحل أمره، وفى نهاية القرن الثامن خرج داعية آخر اسمه " العباس " زاعماً أنه المهدى، وهاجم مراكش وأحرقها . لكنه قتل غيلة أيضاً .

• المهدية فى العصر الحديث:

رأينا أن المهدية قد تطورت وخرجت عن دائرة التشيع لآل البيت، فظهر أدعياء المهدية من غير آل البيت واستغلوا هذه العقيدة سياسياً .

وقد تطورت فكرة المهدية بعد ذلك أيضاً، وامتد أثرها إلى العصر الحديث، ونجد أثر هذه الفكرة مثلاً عند مسلمى القوقاز الذين يؤمنون برجعة بطل استقلالهم " إيليا منصور "، الذى ظهر قبل زعيمهم " شامل " عام ١٧٩١ ويعتقدون أنه برجعته إليهم بعد قرن من طرد الروس، ونجدها ـ كذلك ـ عند أهل سمرقند الذين يعتقدون برجعة أوليائهم، ومنهم " شاه زند" و " قاسم بن عباس "، ونجدها أيضاً عند الأكراد منذ القرن الثامن الهجرى فهم يؤمنون برجعة زعيمهم المصلوب، تاج العارفين " حسن بن عدى" .

وقد ظهر، أيضاً، من يدعون " المهدية " فى بلاد " فارس "، وفى " الهند " أما أهم آثار عقيدة " المهدية " فى العصر الحديث، فهو قيام الدولة المهدية فى السودان، ونشوء " البابية " و " البهائية " فى إيران، و " الباريلية " و " الأحمدية " فى الهند، وظهور: مهدى المغرب (محمد المهدى السنوسى) . وسنتحدث فيما يلى عن البابية والبهائية والباريلية والأحمدية " القاديانية " لما لهم من أهمية خاصة وتعاليم هدّامة لا تقل خطراً عن تعاليم الإسماعيلية، إن لم تتفوق عليها وتتجاوزها .

البابية والبهائية

رأينا فيما سبق أن الشيعة ينقسمون إلى فرق مختلفة، منها المعتدل . ومنها الغلاة، وأن الغلاة منهم ينقسمون، أيضاً، إلى أصناف: منهم السبأية، أتباع عبد الله بن سبأ، وهو أول من أظهر الغلو، قال هؤلاء: حل فى علىّ جزء إلهى واتحد بجسده، وبه يعلم الغيب، والرعد صوته، والبرق تبسمه، وينتقل هذا الجزء الإلهى بنوع من التناسخ من إمام إلى إمام .

ومنهم " الخطابية " أتباع أبى الخطاب محمد بن أبى زينب الأسدى، قالوا: إن جعفراً الصادق هو إله زمانه، قال " الشهرستانى ": قد بالغ الصادق فى التبرى من أبى الخطاب واللعن عليه .. ومنهم " المفوضة "، قالوا: إن الله خلق الأئمة ثم اعتزل تاركاً لهم خلق العالم، وتدبير شئونه !

ومن الغلاة من يدين بثالوث مكون من: الأب وهو على، والابن وهو محمد، وروح القدس وهو سلمان الفارسى، ومن الطريف قول بعضهم: إن يوم الأحد معناه على، ويوم الاثنين: الحسن والحسين ! وقد ذكر الشهرستانى فى " الملل والنحل " فرقاً عدة للغلاة، لكنها ترجع كلها إلى أصل واحد فى القول بألوهية الأئمة . وعلى كل فإن للغلاة دينهم الخاص، وهو لا يمت إلى الإسلام بصلة[1] كما رأينا .

أما الشيعة الإمامية فهم أكثر فرق الشيعة عدداً وانتشاراً، ومنهم نحو اثنين وثلاثين مليوناً فى الهند وباكستان، ونحو عشرة ملايين فى روسيا وتركستان، وبخارى والأفغان ولبنان، وقليل منهم فى سوريا والحجاز واليمن وصنعاء وبلاد التبت والصومال وجاوا والألبان وتركيا والبحرين والكويت والإحساء والقطيف[2] .

* البابية:

البابية فرقة متطرفة من الشيعة الإسماعيلية، تدين بمعتقد " المهدية " . ظهرت فى نهاية القرن التاسع عشر .

وقد سايرت " البابية " الشيعة، وخاصة الغلاة، فى القول بأن: للأئمة فيضاً إلهياً وقبساً من نور الله، ومكاناً للوحى الإلهى وأن المهدى، والأئمة من بعده لهم عصمة الأنبياء . وأن الله يتجلى عليهم تجلياً تدريجياً يرتقى إلى أن يصل إلى العقل الكلى، ومؤسس البابية هو "ميرزا على محمد الشيرازى" الذى ظهر فى فارس، وولد عام ١٨٢٠م

ونشـأ نشـأة دينـية وعـرف عنه الورع والتقوى والزهد، وكان من أصحاب المواهب الممتازة والحماسـة الدينية، وقد تأثر الميرزا محمد على باحترام أتباعه فاعتقد أنه مبعوث من الله لأداء رسالة دينية عالية، وأن رسالته هذه حتمية لأن الزمان والبيئة يحتاجان إلى مبعوث جديـد فـأعلن أنـه: "الـباب" الـذى يدخل الناس منه إلى الإمام المستور مصدر كل الخير للعالم .

ثم تطور الأمر عنده فاعتقد أنه هو نفسه الإمام الذى يهدى العالم إلى الحق والخير والرشـاد . وأعلـن أنـه المهـدى المنـتظر الجديـد، وأن المهـدى قـد حـل فـيه حلولاً مادياً جسـمانياً . وأن الله قـد حـل فـيه أيضـاً، وكـان يفسر القرآن تفسيراً باطنياً رمزياً ويتأول نصوصـه، ولم يكـن يؤمـن بشـعائر الإسـلام كـلها وتفاصيلها ويرى أنها مرهقة وأنها فوق طاقـة البشـر فـى الوقـت الحاضر، وأنه ليس معنى البعث الحياة بعد الموت وإنما يحدث البعث مراراً بالتجدد الدورى .

ولم يكـتف بذلـك بـل قـد دعـا إلى أخـلاق تعـتمد عـلى العقل والذوق فطالب مثلاً بالمؤاخـاة، لا على أن المسلم أخو المسلم فقط، بل على أن الإنسان أخو الإنسان بلا تفريق بـين غـنى وفقـير ولا تفريق بين مسلم ونصرانى ويهودى ووثنى، كما دعا إلى المساواة بين الـرجل والمـرأة لإنها شريكته فى الإنسانية، فالكل سواء فى الميراث وفى رفع الحجاب، وأنكـر الطـريقة العرفـية فـى الـزواج ؛ فوضـع تعاليم أخرى جديدة للزواج والطلاق وبناء الأسرة وطرق التربية فأضاف بذلك إلى تعاليمه الدينية تعاليم اجتماعية أخرى .

ثـم أضـاف أيضاً بعض التعاليم المتعلقة بالحروف والأعداد، وجعل للحروف جملاً لهـا دلالـتها الرمـزية وكـان مما قدسه الرقم ١٩، واستند فى ذلك على ما جاء فى القرآن ﴿ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴾ [المدثـر: ٣٠] واستند على هذا العدد فى تنبؤاته وفى أفكاره، وقـال إنـه فى دعوته هذه يقوم مقام الأنبياء والأئمة وأنه موضع للتجلى الروحى الإلهى . وقـد خلـف كـتاباً سمـاه " البـيان " أودع فـيه كـل تعاليمه وآرائه . وكان يعتمد فى نشر دعوتـه عـلى فـتاة جمـيلة فصيحة اسمها " قرة العين " . لكن لم يلبث الشاه أن حارب الباب وأتباعه .

وقـبل أن يمـوت الـباب اخـتار اثـنين عدهمـا خـير أتـباعه همـا " صـبح الأزل " و " بهـاء الله "، وبذلـك تفـرق أتـباع الـباب إلى فـريقين، بعـد موتـه، فريق يتبع "صبح الأزل"وفـريق يتـبع " بهـاء الله " وكـل فريق يرى الآخر خارجاً عن المذهب، وكان أتباع

صبح الأزل أقل من أتباع بهاء الله، ولم يتوقف الشاه عن مطاردتهما، ففر أتباع صبح الأزل إلى العراق ثم الجزيرة ثم ذهبوا إلى قبرص، أما " بهاء الله " فقد نُفِى إلى "أدرنة "، وكان طابع صبح الأزل هو المحافظة والتمسك بتعاليم الباب، بينما كان طابع "بهاء الله" هو التحرر، إذ كان يرى ضرورة تطوير أفكار الباب . وأن الباب ليس إلا ممهداً لبهاء الله وأن بهاء الله هو الذى حل فيه النور الإلهى والقبس الإلهى . واعتمد البهاء على نص جاء فى كلام الباب وهو قوله: " سيظهر فى يوم من الأيام من هو أعظم منى " .

* البهائية:

لقب " بهاء الله " نفسه بلقب " منظر الله " مدعياً أنه هو الذى تتجلى فى طلعته ذات الله . كما تتجلى طلعة الإنسان فى المرآة، واعتقد أصحابه أنه فوق البشر، وقد وضع بهاء الله كتباً بالعربية والفارسية منها " الأقدس " و " الإيقان " و " إشراقات " ويشير " الأقدس " إلى أنه كتاب أقدس من التوراة والإنجيل والقرآن، وزعم أنه قد بشر به الأنبياء من قبل كما بشر المسيح بمحمد، وأنه له تعاليم خاصة لا يبوح بها إلا لمن قدر عليها من الخاصة، كما كان للنبى محمد تعاليم خاصة لم يبح بها إلا لعلىّ، وباح علىّ بها لخاصته حتى وصلت إلى الأئمة، وأن رسالته نسخت رسالة " الباب " .. ومن أقواله: أن خير الناس من جعل العالم كله وطناً له .

ورمى العقائد القديمة بالضيق والجمود، وبث فكرته فى العالم كله وأرسل الدعاة إلى الملوك والأمراء ورؤساء الجمهوريات، وإلى الشعوب، بطرق مختلفة، وكان له تنبؤات صح بعضها، منها التنبؤ بسقوط نابليون الثالث قبل سقوطه بأربع سنوات، وكان يهدف إلى جعل ديانته كتعاليمه إنسانية عامة، وأن يكون للعالم كله لغة واحدة، تكون أماً من لغة عالمية موجودة أو من لغة مثل " الاسبرانتو " .

وقال إنه قد نزلت عليه سورة تسمى سورة الملوك، أنب فيها سلطان تركيا لعدم مساواته فى حقوق شعبه، وكان يرى أن الشريعة الإسلامية إنما كانت صالحة لزمانها، ولكنها لا تصلح لزمانه ولذلك غيّر من شعائرها، وأباح لأتباعه أن يفعلوا كل شىء مادام لا يخالف العقل البشرى، وشنع على علماء وقته ووصفهم بالملق والنفاق وبتعويق الإرادة ونسخها، ولم يؤمن بالحرية السياسية إذ ليس للحريات نتيجة إلا الفوضى .

ومات " بهاء الله " سنة ١٨٩٢ وانتقلت زعامته إلى ابنه " عباس أفندى " الذى تسمى بـ " عبد البهاء " أو " الغصن الأعظم " وقد زار " عبد البهاء " مصر سنة ١٩١٠،

وقد نزع إلى الزيادة فى تعاليم أبيه والتوفيق بينها وبين العقلية الغربية والأمريكية . وقد دخل عدد كبير من رجال ونساء أمريكا بالفعل فى البهائية وكانوا يحجون إلى جبل الكرمل فى فلسطين لرؤية الإله الجديد، وقد انتشرت البهائية فى مصر أيضاً حيث اختفى اسم البابية وحل محلها اسم البهائية، وقد أنشأ البهائيون على حدود روسيا بناء عاماً يعقدون فيه اجتماعاتهم، ولهم مثله فى بغداد، وكانوا يؤثرون التقية كسائر الفرق الشيعية ويخفون دينهم عن غير أتباعهم، ولهم أتباع كثيرون فى فارس يقدرون بثلاثة ملايين، وأتباعهم فى أوروبا وأمريكا أيضاً كثيرون . ولهم مجلة تصدر فى أمريكا منذ عام ١٩١٠، وقد اعتنق البهائية بعض اليهود، وهؤلاء وجدوا فى التوراة ما يؤيد عقيدة البهائية، فى سفر أشعياء، فى نص يقول: " يولد لنا ولد ونعطى ابناً وتكون الرياسة على كتفه ويدعى اسمه عجيباً مثيراً إلهاً قديراً أبداً أبدياً "[1]

ومن الواضح أن تعاليم " البهائية " كانت تخدم الاستعمار، ولذلك فلم يكن من الغريب أن يحتضن الاستعمار البهائية الداعية إلى السلام وإبطال الجهاد ورفض الحرية السياسية والداعية إلى المساواة والإنسانية ونبذ العقائد القديمة .

• تعاليم البهائية:

قالت البهائية بالكثير من التعاليم المخالفة للشريعة الإسلامية، ومن تعاليمها الناسخة للشريعة الإسلامية:

- لا يسمح بتعدد الزوجات لأكثر من زوجتين .
- يباح نكاح الأقارب: " لا يحرم نكاح الأقارب مادام البهائيون قلة وضعفاء، ولما تتقوى البهائية وتزداد نفوسها يندر وقوع الزواج بين الأقارب "، " ولا يحرم من الأقارب إلا أزواج الآباء " . (خزينة حدود وأحكام: ص ١٨٦)
- عقوبة الزنى تسعة مثاقيل ذهب تسلم لبيت العدل فى عكا . ويتعلق هذا الحكم بالزانى غير المحصن، والزانية غير المحصنة، أما المحصن والمحصنة فلا حكم عليهما، إلا أن يحكم بيت العدل . (مكاتيب عبد البهاء: ص ٣٠١)
- من اتخذ بكراً لخدمته فلا بأس عليه . (الأقدس: فقرة: ١٤٢)
- ليس فى الشريعة البهائية أى ذكر لأحكام اللواط .
- رفع حكم النجاسة عن كل شىء بما فى ذلك: البول والمنى، والبراز والخنزير والكلب . لأن كل شىء قد انغمس فى بحر الطهارة فى أول الرضوان لما تجلينا على

من في الإمكان بأسمائنا الحسنى وصفاتنا العلية .(الأقدس: فقرتى: ١٦١، ١٦٢)

- يباح استعمال الذهب والفضة ولبس الحرير .
- يمنع الوعظ من فوق المنابر ويشترط له الجلوس على كرسى مثلما كان يفعل "الباب"
- وجوب الغسل الكامل مرة كل أسبوع، وغسل الأرجل كل يوم، فى الصيف، وكل ثلاثة أيام فى الشتاء، ولا ذكر للوجه واليدين .
- " والذى يرى فى كسائه وسخ أنه لا يصعد دعاؤه إلى الله " (الأقدس: فقرة: ١٦٤)
- الصلوات ثلاث: الصبح والعصر والمغرب، كل منها ثلاث ركعات، وإذا صليت إحداها تكفيك عن الباقى .
- لا صلاة للجماعة .. إلا على الميت .
- لا صلاة فى السفر .. بل تكفى أن تسجد وتقول: " سبحان الله " .
- القبلة هى: بيت البهاء فى عكا .. أو قبره .
- " طبعاً، البهاء: نفسه . لا يصلى، لأنه هو: القبلة . فأين يتوجه وهو الحى القيوم ولمن يصلى " (حقيقة البهائية: مصطفى محمود: ص ٧٥) .
- الصيام: ١٩ يوماً، من الفجر إلى المغرب وينقطع عن الطعام والشراب .
- يجوز للرجل فى الصيام مباشرة زوجته .
- يحل لكم خمسة أيام من اللهو والمجون قبل بدء الصيام .
- يعفى من الصيام: الصبى أقل من ١١ سنة، والكهل أكبر من ٤٢ سنة، والحامل، والمريض، والمسافر، والكسول، والهرم .
- لا يجوز الصيام وكذا الصلاة عند التكسر أو التكاسل(خزينة حدود وأحكام: ص ٣٧)
- يكون الحج لبيت النقطة فى شيراز أو بيت البهاء فى بغداد .
- فى المواريث .. تكون الدار المسكونة للولد البكر بتوابعها من اصطبل ومضيف وخلوة
- يحل للرجل أن يرمى يمين الطلاق على زوجته تسع عشرة مرة .
- يحرم النقاب والحجاب .
- لا يحل الزواج بغير البابى والبهائى، ويحل الشراء والمتعة بغير حصر .
- يحرم التداوى بالأدوية أو الاتجار فيها .
- لا تضرب البيضة على شىء يضع ما فيها قبل أن تُطبخ !
- لا يُركب البقر .. ولا يحمل عليه من شىء !
- لا تقبل شهادة غير الشيعى الإثنى عشرى وإن اتصف بالإسلام .

- لا تقبل شهادة السائل أو الطفيلى، وتقبل شهادة سائر أرباب المهن والصنائع ولو كانت دنيئة .
- لا تجوز شركة الأبدان إلا إذا اختلفت الأعمال وعليه لا يجوز أن يعمل طبيبان فى عيادة واحدة، أو محاميان فى مكتب واحد، أو خياطان أو نجاران فى محل واحد، ثم يقتسمان الأجر خوفاً من الغبن والاستغلال .
- لا يجوز التكافل أو التضامن لفسادهما ولأن الحق لا يتعدد .
- محو حكم الجهاد من الكتاب .. " لأن يقتلكم الكافر خير من أن تقتلوه " (بهاء الله والعصر الحديث) .
- ليس لأحد أن يعترض على الذين يحكمون على العباد . (إشراقات: ص ١٣٣)
- حرم عليكم حمل آلات الحرب . (الأقدس: فقرة: ٣٨٣)

*** كتب البهائية المقدسة:**

تدرج " بهاء الله " من إعلان نفسه خليفة للباب إلى ادعاء النبوة، ثم ادّعى أنه المسيح، ثم ادّعى الربوبية، وأنكر " البهاء " المعجزات وقال بتأويلها مجازياً: فموسى لم يشق البحر بعصاه، بل كانت العصا رمزاً للفرقان الذى شق به الحق عن الباطل، ويده التى أخرجها بيضاء من غير سوء، هى يد التفضل والإنعام والتنوير، وعيسى لم يحيى الأجساد الميتة، ولم يفتح العيون العمياء، إنما أحياً النفوس الميتة، وفتح البصائر، والناقة التى عقرها قوم صالح هى نفوسهم التى أهلكوها، والنار التى دخلها إبراهيم هى نار الإغاظة التى صارت برداً وسلاما .. فالمعجزات والخوارق ما هى إلا رموز وإشارات يفهمها اللبيب، ومثلهما الجنة والنار، ما هى إلا رموز أيضاً، وإشارات، أما حقيقة الجنة فهى راحة النفوس، وفرحتها بالإيمان به، أى بالبهاء، وحقيقة النار هى عذابها وسعيرها بكفرها وانكسارها، والملائكة والشياطين ما هى إلا رموز للخواطر الشريرة، والخواطر الخيرة .. وما الحشر إلا ما نحن فيه الآن من قيامة الظهور البهائى[١].

وقد نسخ " بهاء الله " الشريعة الإسلامية، بشريعته الخاصة، فى كتبه المقدسة التى ادّعى أنه أوحى إليه بها، وأهمها " الأقدس " و " الإيقان " و " الإشراقات " .. وقد دعا فى هذه الكتب إلى المحبة، والسلام، ونبذ الحروب، ووحدة العالم، ووحدة اللغات، وشرعية الاختلاط وخلع الحجاب، ورفع التكاليف ! !

* * * * * * * *

الباريلية والقاديانية

انشعبت الشيعة الاثنى عشرية، فى فارس، إلى طوائف ثلاث: " أخبارية "، و "اجتهادية "، و " شيخية " .

والفرقة الأخيرة هى التى أثرت فى ظهور البهائية والبابية فى فارس، ومؤسس " الشيخية " هو الشيخ " أحمد الأحسائى " الشيعى الاثنى عشرى . المولود عام ١٧٤٤م والمتوفى سنة ١٨٢٧م .

وقد انتقل التشيع الإسماعيلى بعد موت " الباب " عام ١٨٥٠م، وموت " بهاء الله " سنة ١٨٩٢م إلى الهند، والواقع أن جذوره هناك ترجع إلى سنة ١٥١٢م، ونظراً لأن الهند كانت دائماً بوتقة لجميع الأديان وغريب العقائد فإن الإسلام فيها كان مختلطاً بغيره من أساطير وعقائد الهند الوثنية . وكانت العبادات الإسلامية ظاهرية سطحية مختلطة بعبادة الموتى والشياطين، ولذلك ظهر الكثيرون من دعاة المهدية فى الهند، لكن أعظم هؤلاء الدعاة أثراً وأكثرهم خطراً هما " أحمد الباريلى " و " أحمد القاديانى "

* الباريلية:

ولد أحمد الباريلى عام " ١٢٠١هـ - ١٧٨٦م " بمدينة " بريلى " . وتلقى العلم عن الشاه الصوفى " عبد العزيز الصفوى "، وهو الذى توسم فيه الصلاح فأوعز إليه بفكرة المهدية وأقنعه بأنه: هو " المهدى المنتظر " الذى يكون على يديه صلاح حال المسلمين فى الهند، وأنه " صاحب الزمان " .

واقتنع الباريلى بالفكرة، وأعلن مهديته، وبدأ الدعوة، وبعد حجة عام ١٨٢٣م عاد إلى الهند أكثر حماسة، حتى رأى عدم الاكتفاء بالوسائل السلمية فى الدعوة . فتذرع بالرغبة فى تحرير المسلمين من نير السيخ فى "البنجاب" وقام بحملته عام ١٨٢٦م، بعد وثوقه من معاونة مسلمى " كابل " و " قندهار" . وبعد معارك دامية دامت عدة سنوات، كانت المعركة الفاصلة فى " بالكوت " عام ١٨٣١ وفيها لقى المهدى الباريلى مصرعه .

والواقع أنه لم يكن للباريلية فى الهند من أهداف سوى العودة بالإسلام إلى بساطته وتخليصه من العقائد الهندية الوثنية التى اختلطت به، فالباريلية دعوة شيعية إصلاحية ذات نزعة وهابية .

* القاديانية:

وعلى أطلال " البارلية " المتهدمة، وبدافع من الغيرة الدينية أيضاً، قامت أحدث فرقة فى العالم الإسلامى . وهى " الأحمدية "، أو " القاديانية " .

ومؤسس القاديانية هو " ميرزا غلام أحمد القاديانى " فى قاديان إحدى مدن البنجاب، وقد ولد حوإلى منتصف القرن التاسع عشر، واتخذ من " البارلى " أستاذاً، وادعى أيضاً أنه " المهدى المنتظر " . وجهر بمهديته سنة ١٨٨.م فى المجلد الأول من كتابه " براهين أحمدية " . لكنه لم يطلب من أتباعه البيعة إلا عام ١٨٨٩م، بعد اشتداد عوده وكثرة أتباعه وأنصاره، وقد استغل الآثار الملفقة عن علامات ظهور المهدى . ومنها أن ظهوره سيكون مقروناً بعلامات وظواهر فلكية، فأوّل كسوف الشمس وخسوف القمر عام ١٨٩٤م لصالحه ودعّم بوقوعهما مهديته .

والقاديانية، على خلاف البارلية، فرقة مسالمة لا تميل إلى القتال، ولا تحبذ العنف، ويقال: إن القاديانى كان صاحب فطنة، وفراسة صادقة، ونبؤات لا تخطىء . وأنه قد تنبأ بحدوث كوارث فادحة من الطاعون والزلازل، كما تنبأ بوفاة بعض الأفراد، وقد صدقت تلك النبؤات، بالصدفة، فاستغل ذلك استغلالاً جيداً فى ترويج بضاعته .

بسط القاديانى مذهبه فى مؤلفاته، فى أكثر من ستين كتاباً دينياً فى الفقه والعقائد، باللغتين العربية والأردية . وساق فيها الأدلة والبراهين المؤيدة لمهديته والمساندة لمذهبه وبث فيها تعاليمه وأفكاره . ومنها:

* تعاليم وأفكار القاديانية:

- ادعى القاديانى أن الله حل فى جسده، وأن رسالته عالمية .
- أسقط القاديانى فريضة الجهاد، وحبب إلى أتباعه المسالمة، والتسامح، ونهاهم عن التعصب .
- أظهر هو وجماعته الولاء الخالص للحكومة البريطانية فتركتهم يبشرون بمذهبهم السلمى .
- خالف الإسلام فى قوله بأن عيسى لم يصلب ولم يرفع، إنما مات موتاً ظاهرياً . ودفن فى قبر خرج منه بعد ذلك وتوجه إلى " كشمير " للتبشير بالإنجيل، وهناك مات بالغاً من العمر مائة وعشرين عاماً، ودفن فى قبر ينسب خطأ للولى " يوسف إساف " .

- حبب دراسة العلم إلى أتباعه .. ومنه دراسة اللغة العبرية .
- لم يقبل من الأحاديث النبوية والإسلامية إلا ما كان مؤيداً لمهديته .
- قال: إن من لم يصدق نبوتى .. لا يدخل الجنة .
- أمر بعدم الصلاة خلف إمام مسلم لا يعتقد اعتقادهم .
- أمر بعدم الصلاة على الجنائز سواء كانت كبيرة أم صغيرة .
- أنكر الاعتقاد بأنه لا نبى بعد محمد، وقال: إن باب النبوة لم يغلق، وأن الدين الذى يغلق باب النبوة دين ميت .
- قال: إن الله قد أخبر بأن " قاديان " هى أم القرى، وأنه قد تحولت البركات التى كانت تنزل بمكة والمدينة إلى قاديان .
- قال: إن المسجد الأقصى المذكور فى القرآن .. هو المسجد الذى بنيته أنا، مسجد القاديانى .
- أمر بتوجيه الأموال المخصصة للحج إلى بناء المدارس لتعليم القرآن، فذلك أفضل من الحج عنده .
- قال عن نفسه: رأيت فى المنام: أنى إله .. وأنا فى اعتقادى كذلك[1] .

وهكذا، تلتقى بعض تعاليم " القاديانية " مع بعض تعاليم " البهائية "، وخاصة فى رفع حكم الجهاد، والدعوة إلى المسالمة، ولا يخفى علينا ما قامت به هذه الأفكار وأمثالها فى خدمة الاستعمار، ناهيك عن أثرها الهدام فى العقائد الإسلامية الصحيحة .

على أنه، قد أدت فكرة " المهدية " إلى ظهور حركات ثورية كثيرة، منها حركة " مهدى السودان" وحركة " مهدى الصومال"، وحركة " المهدى السنوسى" فى المغرب، فى العصر الحديث، أما قبل ذلك فقد كان لفكرة المهدية علاقة وثيقة بالكثير من الحركات السرية الهدامة التى ظهرت فى التاريخ الإسلامى مثل: الحشاشين، والقرامطة والخوارج .

* * * * * * *

(القسم الثانى)

المسيح الدجال

فتنـــــة الدجـــــال

رأيـنا كـيف أن عقـيدة " المهـدى " قـد سـادت وانتشـرت، وتطورت، ونشأ عنها الكـثير مـن الحـركات الثورية الهدامة فى الإسلام . أما عقيدة " المسيح الدجال "، فهى عـلى خـلاف ذلـك، لأنها تعتمد على الأحاديث الصحيحة المروية عن النبى ﷺ . وأكثر هذه الأحاديث يقول بظهور " المسيح الدجال "، وبأن ظهوره سيكون فتنة .

ففى الحديث الصحيح، عن المغيرة بن شعبة، قال: " ما سأل أحد النبى ﷺ عن الدجـال أكـثر ممـا سـألته " .. قـال: ومـا سؤالك ؟ قلت: إنهم يقولون: معه جبال من خـبز ولحـم ونهـر مـاء؟ قـال: هـو أهـون عـلى الله مـن ذلـك " . [مسـلم: ص ٢٢٥٨، والبخارى: الفتن]

وقـد أكـدت بعـض الأحاديـث ذلـك، ومـنها حديـث علىّ بن أبى طالب ﷺ عن النـبى ﷺ، قـال: " إنهـا سـتكون فتـنة ! قلـت: وما المخرج منها يا رسول الله ؟ قال: كـتاب الله، فـيه نـبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، هو الجد ليس بالهزل، وهـو حـبل الله المتين، والذكر الحكيم، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى فـى غـيره أضـله الله، وهـو الذى لا تنقضى عجائبه ولا يخلق على كثرة الرد، وهو الذى سمعته الجن ﴿فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً * يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ﴾[الجن: ١-٢]

وقـد دارت أكـثر الأحاديـث عـلى هـذا الـنحو فـى ذكر " الدجال "، فأكدت أنه سـيخرج للـناس، وأن خـروجه سـيكون فتـنة، ثم وصف بعضها هيئة ظهوره وما سيكون معـه ممـا يفـتن به الناس، وقد قيل فى تفسير " هو أهون على الله من ذلك ": إنه أهون عـلى الله مـن أن يجعـل ما يخلقه على يديه مضلاً للمؤمنين ومشككاً لهم، بل إنما جعله ليزداد الذين آمنوا إيماناً، ويرتاب الذين فى قلوبهم مرض .

وقـد روى أيضاً أن المسيح عليه السلام سيظهر بعد ظهور الدجال الأعور، ويحكم الناس بالعدل، ويكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويعيد الوئام والسلام بين الناس ..

والاعـتقاد فـى الدجـال، وما سيكون من أمره، أثبتته الأحاديث، وكذلك الاعتقاد فـى عودة المسيح عليه السلام وقتله للدجال، وقد كان النبى ﷺ يتعوذ من المسيح الدجال، بعد كـل تشهد وقبل السلام، فيقول: " اللهم إنا نعوذ بك من عذاب جهنم، ومن فتنة القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن فتنة المسيح الدجال " .

ومـن المـأثور عنه ﷺ أنه قال: " من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف، عُصم مـن فتنة الدجال " . كما قال " فمن قضى الله عليه بالشقاوة تبع الدجال فيما يدعيه من الكذب والـنفاق، فمـن رآه مـن المؤمـنين فليبتعد عنه أو يهرب منه، ومن استطاع الثبات أمامه فليبصق فى وجهه والله خير الحافظين " .

* المسيح الدجال:

سمـى بهـذا الاسـم لعدة أسباب، أهمها وأولها ما ذكره النبى ﷺ بقوله: الدجال " مسيح الضلالة "، وعيسى عليه السلام " مسيح الهدى " .

ويُفهـم مـن ذلـك أنـه سمى بهذا الاسم للتفرقة بينه وبين المسيح عيسى بن مريم، وقد روى أبو داود الطيالسى عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال:

" أمـا مسـيح الضلالة فإنه أعور العين، أجلى الجبهة، عريض النحر، فيه اندفاء مـثل " قطـن بـن عـبد العزى " . فقال له الرجل (قطن): أيضرنى ذلك يا رسول الله ؟ فقال: لا .. أنت مسلم وهو كافر " .

وقـد اختلفت الآراء فـى أسـباب تسـميته بالمسـيح الدجـال بعـد ذلك، فقيل: هو " المسيخ " ولـيس " المسـيح "، وهـو: " المسـيخ "، لأنه: مُسخ فى الهيئة .. ومُسخ فى الفكـر .. ومُسـخ فـى الـذوق .. ومُسـخ فـى السلوك .. كأنه ليس من جنس البشر .. فهو منتم للشيطان .. ومن زبانية إبليس اللعين .

وقد قالوا فى سبب تسميته بالدجال:

- الدجال: هو الذى يُلبّس على الناس ويخلط عليهم ويخدعهم .
- الدجال: هو الكذاب الذى يلبس الباطل بالحق .
- الدجال: هو المنحرف الذى يغر الناس بشره .

* الدجال: هيئته وصفاته:

يظهـر " الدجـال " فـى هيئة بالغـة القبح، لا تقتصر دمامته وبشاعته على منظره الخـارجى وهيئـته الظاهـرة، إنمـا يـتجاوز القـبح مظهـره إلى مخـبره، فهـو قبيح المظهر والمخـبر، بشـع الصورة والفكر، يدعى أنه الله . وهو أعور، وليس الله بأعور، فهو كذاب . منافق، دجال .

وهـو: " شـاب: قصير، ضـخم الجـثة، شـعره شديد التجعد، يعقده خلف رأسه

كالنساء، وجهه أسمر مُشرب بحمرة، له لحية قائمة، وصوته أخنّ يخرج من أنفه، وهو مع ذلك غليظ الصوت خشن النبرات، معقوف الأنف . فأنفه كأنف النسر أو الصقر، مكتوب على جبهته وبين عينيه " كافر "، يمشى متباعد الساقين، يقرأ كل مؤمن ما كتب بين عينيه .

وفى الحديث، عن النبى ﷺ فى وصف الدجال قال:

" بينا أنا نائمُ أطوف بالكعبة، فإذا رجل آدم منبسط الشعر ينطف - أو يهراق - رأسه ماء . قلت: من هذا ؟ قالوا: ابن مريم، ثم ذهبت ألتفت فإذا رجل جسيم أحمر جعْد الرأس . أعور العين . كأن عينه عنبة طافية " .

وفى رواية حذيفة، قال: قال النبى ﷺ : " الدجال أعور العين اليسرى "

وفى رواية عبد الله بن عمر، قال: قال النبى ﷺ : " المسيخ الدجال أعور العين اليمنى كأن عينه عنبة طافية " .

أما القاضى عياض فقد قال: تصح الروايتان معاً، بأن تكون المطموسة والممسوحة هى العين العوراء الطافئة (بالهمزة)، أى التى ذهب نورها، وهى العين اليمنى، وتكون الجاحظة هى الطافية بلا همزة، وهى العين اليسرى .. وعلى هذا فهو أعور العين اليمنى واليسرى معاً، فكل واحدة منهما عوراء، أى معيبة، فإحداهما معيبة بذهاب نورها، والأخرى بنتوئها وخضرتها .

واتصاف الدجال بالشباب، لا يعنى صغر السن، إنما المقصود به " القوة " و " الفتوة " .. وقوته، هنا ليس المقصود بها القوة الجسدية فحسب، إنما أيضاً القوة العقلية والفكرية، على أن قوته الفكرية والعقلية ليست بالقوة الموجبة . إنما هى قوة شريرة شيطانية، وهذه القوة العقلية ناجمة عن قوة عصبية هائلة، أما قوته الفكرية فناتجة عن علمه الواسع وتبحره الهائل فى مختلف العلوم، وإحاطته الكاملة بأسرارها وفنونها، فهو يعلم كافة علوم الإنس والجن .

وقيل: إنه قد استعان بأطباء من عالم الجن، بعد عجزه عن معالجة نفسه وإصلاح عيوب خلقته . وخاصة عينيه، لكنهم عجزوا مثلما عجز لدرجة تشابك وتعقد أعصاب عينيه ! ولتركيبهما المتفرد فى الطبيعة .. وقيل إن عجزه كان محتوماً، لكى يعلم أنه مهما أوتى من العلم فإنه لن يستطيع أن يبدل ما قدره الله، حتى لو كان علمه يفوق علوم البشر والجن والشياطين ! .

ومع ذلك .. سيخرج الدجال ليملأ الأرض شراً، ولن يردعه الإحساس بالعجز فى علاج نفسه وإصلاح عيوبه الخلقية، أو يحمله على التراجع عن غيه، إنما سيمضى فى طريق الشر، مغروراً بقوته وبما أوتيه لفتنة الناس، وسوف يتمادى فى الكفر فيعلن على الملأ قولته الشنعاء: " أنا .. ربكم الأعلى " !

وسوف يظهر " الدجال " مؤيداً بقدر كبير من القوة، وترجع قوته هذه إلى قوته العقلية والعصبية، وإلى علمه، وإلى سلطته ونفوذه وسلطانه إذ سيظهر فى صورة حاكم، أو ملك، أو رئيس دولة، أما شخصيته فهى شخصية فريدة، معقدة، يتجسد فيها الشر بكل صوره ومعانيه وصفاته، إنها شخصية معجونة بالشر، لم يظهر مثلها فى التاريخ من قبل . ولا تضاهيها فى ضلالها وشرها وقوتها الشيطانية جميع أعتى الشخصيات الشريرة التى عرفها التاريخ البشرى كله . وأقل ما تتصف به شخصية الدجال، بعد هذا، الغرور .. سواء بالقوة، أو بالمواهب التى يملكها، أو بعقليته الجبارة التى سخرها، منذ القدم فى التخطيط للسيطرة على العالم .

ينتمى الدجال إلى اليهود .. لكنه مثل سائر اليهود، يكره بنى جنسه، وصفاته أقبح من صفاتهم وأعظم إغراقاً فى الشر والضلال والانحلال، وتفكير تآمرى مثل تفكيرهم يهدف إلى السيطرة على العالم بكافة الطرق والوسائل، والدجال على غروره يكره نفسه . كما يكره بنى جنسه من اليهود، فكذلك جعلهم الله . وأخبر عنهم فى قوله تعالى:

﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَاناً وَكُفْراً وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَاراً لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [المائدة: ٦٤]

وشخصية الدجال، بعد ذلك، شخصية انفعالية، عصبية، شهوانية، دموية عنيدة، مدمرة، داعرة .. حتى قالت بعض المصادر إن دينه هو الجنس، وهو لا يعترف بالزواج .. ويروج لكل مذاهب الجنس من دعارة واغتصاب إلى شذوذ جنسى بكل أنواعه من لواطٍ ووطء محارم ولو كانت أما أو أختاً أو ابنة !! ولهذا عاقبه الله عز وجل، كما أخبر النبى ﷺ : " أنه لا يولد له ... " .

وعندما يظهر " الدجال " فإنه سيدعو الناس إلى عبادته، ويفتنهم بما له من الخوارق، وبما يعضد دعواه من المعجزات الكاذبة .. وأقرب شخصية يمكن تشبيه

شخصية الدجال بها هى شخصية " إبليس " . وقد عقدت بعض المصادر مقارنة طريفة بين شخصية " الدجال " وشخصية " إبليس "[1] على النحو التالى:

- كلاهما يرى أمله فى الآخر
- إذ لو انتصر إبليس لدخل الدجال الجنة ..
- ولو انتصر المسيح لتحقق ظَنُّ إبليس .. فدخل الجنة ..
- والمسيخ هو الصديق الشخصى لإبليس .. والعكس صحيح .
- وهما الآن: " مَلِكان " يجلسان على عرش واحد .. إحداهما مرئى والآخر غير مرئى إلا لجنسه من الأبالسة والشياطين والجن . والمسيخ يعتقد أن إبليس ركن عظيم، يستند إليه، لذا فإن (الدجال) يرى إبليس فى عينى نفسه لو أراد .
- والأمر شورى بينهما فى كل شر .
- والدجال هو: إبليس .. المتجسد ؛ وإبليس هو المسيخ الدجال مختفياً، وكأن كلاهما توأم للآخر . أو نسخة مكررة من الآخر .
- الدجال هو: الثمرة الحقيقية لإبليس فى معركة تحدى الإرادة الإلهية . وهو يعتقد أنه أفضل من جميع البشر، بصرف النظر عن أديانهم، ولذلك يعتقد أيضاً أنه يجب على الجميع أن يسجدوا له، ويعبدوه ويدينوا له بالطاعة . لأنه هو: الأقوى والأفضل والأذكى .. إلخ .

*** مولد الدجال:**

قلنا إن " الدجال " يهودى الأصل . فهو من أسرة يهودية، يحدثنا عنها النبى ﷺ بقوله " يمكث أبو الدجال وأمه ثلاثين عاماً، لا يولد لهما ولد، ثم يولد لهما غلام أعور، أضر شىء وأقله منفعة . تنام عيناه ولا ينام قلبه " .

ووصف النبى ﷺ أبويه أيضاً، فقال: " .. أبوه طويل مضطرب اللحم، كأن أنفه منقار، وأمه طويلة اليدين عظيمة الثديين "[1] وكان مولده عجيباً غريباً، ومن المعتقد أن الشيطان قد شارك فى النطفة التى خلق منها، لذا كانت طبيعة " الدجال " عبارة عن خليط مكون من الإنسان والشيطان .. وهو من مواليد الحيض، وقد مات والداه دون أن يعلما أن هذا الوليد هو " ملك اليهود المنتظر " وصاحب فتنة آخر الزمان .

وفى الخبر أن " الدجال " يولد لرجل صياد، وأنه سيدخل الدير، ثم يخرج ليحكم العالم، وأن مولده تم منذ أربعة قرون تقريباً .

ولم يـرد ذكـر " الدجـال " فى القرآن، احتقاراً لـه . بيد أن الكثير من الأحاديث والأخـبار والـروايات قـد تحدثـت عـنه، وهـو من العلامات الدالة على اقتراب الساعة . وشرط من أشراطها المعروفة .

يفهـم مـن ذلـك أن بـين فـترة مـيلاد " الدجال " وظهوره، فترة يختفى فيها، قد يدخـل خلالهـا الديـر، ثم يظهر بعدها . ولظهوره توقيت يخرج فيه إلى الناس كما روت الأحاديث .

* وقت خروج الدجال:

تناولت الأحاديث أيضاً زمن خروج " الدجال "، فقيل فيه:

إنـه لا يخرج حتى يقوم المسلمون بثلاثة فتوحات، يظهر بعدها " الدجال "، ومن ذلـك مـا رواه " نافع بن عتبة "، قال: كنا مع رسول الله ﷺ فى غزوة، فأتى النبى ﷺ قـوم من قِبَل المغرب عليهم ثياب الصوف، فوافوه عند أكمة . فإنهم لَقِيامٌ ورسول الله ﷺ قـاعد . قـال، فقالـت لى نفسـى: ائتهم فقم بينهم وبينه لا يغتالونه . قال ثم قلت: لَعلَّه نَجِـىٌّ معهـم . فأتيـتهم فقمـت بينهم وبينه . قال: فحفظت منه أربع كلمات أعدهن فى يـدى، قـال: " تغـزون جزيـرة العـرب، فيفـتحها الله .. ثـم فارس، فيفتحها الله .. ثم تغزون الروم، فيفتحها الله .. ثم تغزون الدَّجَّالَ، فيفتحه الله .. "

قال: فقال نافع: يا جابر لا نرى الدجال يخرج حتى نفتح الروم ": [رواه مسلم]

وعلـيه فقـد اتفـق أهل الكتاب على أن توقيت ظهور " الدجال " سيكون بعد فتح الـروم، وفـى حديـث آخـر حـدد الـنبى ﷺ الأزمـنة التى يترقب المسلمون فيها ظهور " الدجـال " فقـال الـنبى ﷺ : " ... مـا كان منذ كانت الدنيا رأس مائة سنة إلا كان عند رأس المائة أمر، فإذا كان رأس مائة أخرج الدجال " .

وفـى صـحيح " مسـلم " والفـتن " للـبخارى ": إن " الدجال " سيخرج " لغضبة يغضبها " .. وأما مكان خروجه فقيل فيه:

- إنه سوف يخرج من جهة المشرق .. من حيث يطلع قرن الشيطان .
- وقيل: من أرض يقال لها " خراسان " .
- وقيل: يخرج من يهودية " أصبهان " .
- وقيل: يخرج من خلة بين الشام والعراق .

وقد ثبت أن خروجه " لغضبة يغضبها " فى حديث ابن عمر ﷺ ، إذ قال:

" لقيت ابن صياد يوماً ومعه رجل من اليهود، فإذا عينه قد طفئت وهى خارجة مثل عين الجمل، فلما رأيتها قلت: أنشدك الله يا ابن صياد متى طفئت عيناك ؟

قال: لا أدرى والرحمن .

قلت: كذبت ! لا تدرى وهى فى رأسك ؟!

قال: فمسحها ، ونخر ثلاثاً، فزعم اليهودى أنى ضربت بيدى صدره، وقلت له: ا. سأ فلن تعدو قدرك . فذكرت ذلك " لحفصة "، فقالت " حفصة ": اجتنب هذا الرجل فإنما يتحدث أن الدجال يخرج عند غضبة يغضبها .

وفى رواية أخرى، قال نافع: " لقى ابن عمر ابن صائد فى بعض طرق المدينة فقال له قولاً أغضبه .. فانتفخ حتى ملأ السكة، فدخل ابن عمر على " حفصة " وقد بلغها، فقالت له: رحمك الله ! ما أردت من ابن صائد ؟ أما علمت أن رسول الله ﷺ قال: " إنما يخرج من غضبة يغضبها " ؟!

***

من ذلك كله، يُفهم أن " المسيخ الدجال " هو:

الملك الذى ينتظره اليهود، وهو من نسلهم، وهم يعتبرونه المسيح الحقيقى . لأنهم ينكرون عيسى ﷺ بعد أن رفض أن يكون ملكاً لهم فأنكروا أنه المسيح، وقالوا: إن المسيح الحقيقى سوف يظهر ليؤسس مملكة داود . ويقود اليهود، ويملك العالم كله، فالدجال هو المسيح اليهودى الذى ينتظره اليهود .

أما فى الإسلام، فليس " الدجال " سوى " فتنة " للناس، تكون قبل الساعة . وهو من أشراطها وعلاماتها، يعرفه المسلمون بكفره، ويتجنبونه، وإن كانوا ينتظرون ظهوره أيضاً، لا لشىء إلا لأن المسيح الحق عيسى ﷺ سيظهر لينصر الحق ويقضى على الشر ويقتل الدجال وينشر فى الأرض السلام .

• علامات ظهور الدجال:

أجمع الرواة على أن ظهور " الدجال " تسبقه عدة آيات تدل على وقت ظهوره، أو إلى أنه قد ظهر بالفعل ومنها: " .. يخرج نجم له ذنب يضىء .. "

والمقصود هنا المذنب الذى جاء ذكره فى القرآن فى قوله تعالى: ﴿ فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ ۞ يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [الدخان: ١٠ - ١١]

والنجم المشار إليه هنا هو " مذنب هإلى " الذى يقترب من الأرض كل ٧٦ سنة، وكان القدماء العرب يرصدون ظهوره ويربطون بين ظهوره وبين الأحداث الكبرى، فقد ظهر هذا المذنب عند ميلاد المسيح، وعند ميلاد النبى محمد ﷺ ، وعندما فتح محمد الفاتح القسطنطينية، لذا قال ابن كثير: " إن الدخان من الآيات المنتظرة " .

وقد ربط النبى ﷺ بين ظهور هذا النجم ودخانه وبين ظهور " الدجال "، لأن هذا الدخان سوف يميز بين المؤمن والكافر بظاهرة هى: أنه إذا شم المؤمن هذا الدخان ظهرت عليه أعراض الزكام، أما الكافر إذا شمه فإنه ينتفخ .. كما قال النبى ﷺ .

ومن العلامات التى تسبق ظهور " الدجال " أيضاً، قلة المياه فى بحيرة طبرية، ونسيان الناس لأمر الدجال وحقيقته تماماً، حتى يكون ظهوره مفاجأة لا يتوقعها أحد وكأن الناس لم يسمعوا به أبداً، والسنوات العجاف التى يسود فيها الفقر والجوع، وقبلها سنوات ينقلب فيها كل شىء رأساً على عقب فيخون الأمين ويكذب الصادق ويؤتمن الخائن ويُصدَّق الكاذب ويتمنى الناس الموت، ثم اقتتال فئتين عظيمتين، وظهور دجالين يدعون النبوة والرسالة (٣٠ دعياً)، ويقبض العلم، وتكثر الزلازل، وتظهر الفتن .. وكل هذا تؤيده الأحاديث التالية:

- يقول النبى ﷺ : " لا يخرج الدجال حتى لا يكون شىء أحب إلى المؤمن من خروج نفسه " .
- ويقول أيضاً: " لا يخرج الدجال حتى يذهل الناس عن ذكره، وحتى يترك الأئمة ذكره على المنابر " .
- ويقول أيضاً النبى ﷺ : " إنَّ أمام الدجال سنين خداعة يُكذَّبُ فيها الصادق . ويُصَّدق فيها الكاذب . ويُخوَّن فيها الأمين . ويؤتمن فيها الخائن . ويتكلم [الرويبضة]"، قالوا: وما الرويبضة يا رسول الله ؟ قال: التافه .. يتكلم فى شئون العامة . وفى رواية " الفاسق "، وفى رواية " الوضيع "، وفى رواية " السفيه " [روايات: أحمد والحاكم والطبرى]
- ويقول النبى ﷺ: " وإن قبل الدجال ثلاث سنوات شداد، يصيب الناس فيها الجوع الشديد " . وفى رواية أخرى: " يكون قبل خروجه سنون خمس جدب يهلك كل ذى حافر " .

- ويقول النبى ﷺ: " والذى نفسى بيده، لا تذهب الدنيا حتى يمر الرجل على القبر فيتمرغ عليه، ويقول يا ليتنى كنت مكان صاحب هذا القبر، وليس به الدين إلا البلاء " . [رواه مسلم] .
- وروى أبو هريرة ﷺ عن النبى، قال: " لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان يكون بينهما مقتلة عظيمة ودعوتهما واحدة، وحتى يبعث دجالون قريب من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله، وحتى يقبض العلم، وتكثر الزلازل . وتظهر الفتن . ويتقارب الزمان . ويكثر الهرج ": [رواه البخارى ومسلم فى الصحيحين] .

ومن الطريف أن بعض المصادر قد فسرت هذا الحديث بحرب العراق لإيران[١] وهى الحرب التى استمرت ٨ سنوات، وراح ضحيتها أكثر من مليون مسلم والمليارات من الأموال .

* * * * * * *

خـــوارق الدجـــــال

لما كان الدجال " فتنة " فإن خروجه لابد أن يكون مدعوماً بما يؤهله للقيام بدوره

لذلك سوف يظهر الدجال ومعه الكثير من الخوارق، والغرائب والعجائب التى تفتن الناس، ويكون خروجه من أشراط الساعة كما قلنا، وسوف يدعى " الدجال " النبوة أولاً، ثم الألوهية، لكثرة ما لديه من الخوارق ولما يتمتع به من قدرات ومواهب لا يملكها أحد غيره . وهو يفتن الناس بهذه الخوارق، ويستخدم مواهبه لإيهام الناس بأن ما يأتيه من " المعجزات " يؤيد دعواه فى النبوة والألوهية .

وقد أمدَّ الله تعالى الدجال بهذه القدرات والخوارق، ليكون " فتنة " فيتحقق بذلك أمره الذى قضاه، وليصبح الدجال من أشراط الساعة التى لا يعرف وقتها إلا الله فقد روى عن حذيفة بن أسيد الغفارى أنه قال: كنا جلوساً بالمدينة فى ظل حائط، وكان رسول الله ﷺ فى غرفة فأشرف علينا وقال: ما يجلسكم ؟ فقال: نتحدث . فقال: فيماذا ؟ فقلنا: عن الساعة . فقال: إنكم لا ترون الساعة حتى تروا قبلها عشر آيات:

أولها طلوع الشمس من مغربها، ثم الدخان، ثم الدجال، ثم الدابة، ثم ثلاثة خسوف، خسف بالمشرق . وخسف بالمغرب . وخسف بجزيرة العرب، وخروج عيسى، وخروج يأجوج و مأجوج، ويكون آخر ذلك ناراً تخرج من اليمن من حضرة عدن، لا تدع أحداً خلفها إلا تسوقه إلى المحشر " . (رواه مسلم فى باب الآيات التى تكون قبل الساعة من كتاب الفتن وأشراط الساعة ٤/٢٢٢٥ - ٢٢٢٦).

أما وقت الساعة فلا يعلمه أحد سوى الله، فقد روى الشعبى . قال " لقى جبريل عيسى عليه السلام فقال له عيسى: متى الساعة ؟ فانتفض جبريل عليه السلام فى أجنحته وقال: ما المسئول عنها بأعلم من السائل ﴿ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ﴾ [الأعراف: ١٨٧]: (أخرجه مسلم) .

ولما كانت " فتنة " الدجال شديدة، فإن خوارقه ستكون عجيبة مدهشة، تأخذ بألباب الناس وتفتن عقولهم، وتأخذ قلوبهم وأبصارهم، إلا من كان على بينة وإيمان، ومن خوارق الدجال وأعاجيبه التى يدعى أنها معجزاته:

*** الجنة والنار:**

عندما يظهر الدجال سيكون معه ما يشبه الجنة والنار، إلا أن جنته هى النار،

ونـاره هـى الجـنة، فمن فتن به واختار جنته فهو فى النار، ومن كان على بينة من أمره وقـوة إيمانـه واخـتار ناره .. فهو فى الجنة، وعن ذلك روى أبو هريرة ﷺ عن النبى ﷺ قـال: " ألا أخـبركم عـن الدجـال حديثاً ما حدّثه نبىٌ قومه: إنه أعور، وأنه يجىء معه مـثل الجـنة والـنار، فالتى يقول إنها الجنة هى النار، وإنى أنذرتكم به كما أنذر به نوحٌ قومه "

* **النهران:**

سيخرج الدجال ومعه كذلك " نهران "سحريان .

يـراهما الخلـق، فأحدهمـا مـن مـاء والآخـر مـن نـار، وفـى الحديـث وصـيّة مؤادهـا: " فإمـا أدركـن أحـد . فلـيأت الـنهر الذى يراه ناراً .. وليغمض، ثم ليطأطىء رأسه فيشرب منه، فإنه ماء بارد ".

وفى حديث آخر: " إن الدجال يخرج، وإن معه ماء وناراً، فأما الذى يراه الناس مـاء فـنار تحرق، وأما الذى يراه الناس ناراً فماء بارد عذبٌ، فمن أدرك ذلك منكم فليقع فى الذى يراه ناراً، فإنه ماء عذب طيبٌ "

وقـد روى حذيفـة عـن النبى ﷺ مثل ذلك فقال: " الدجال أعور العين اليسرى، جُفال الشعر، معه جنةٌ ونار، فناره جنة وجنته نار ".

* **جبال الطعام:**

يخـرج الدجـال أيضـاً ومعه جبال من الخبز والطعام والفاكهة، لأنه سيخرج وقت جـوع وفقـر وجـدب ومجاعـة، وقـد روى البخارى ما يؤيد ذلك، إذ قال: قال المغيرة بن شـعبة: مـا سـأل أحـد النبى ﷺ عن الدجال ما سألته وأنه قال لى: " ما يضرك منه " ؟ قلت: لأنهم يقولون: إن معه جبل خبز ونهر ماءٍ . قال: بل هو أهون على الله من ذلك"

وفـى روايـة أخـرى . قال: "ما ينصبك منه ؟ إنه لا يضرك . قال: قلت يا رسول الله إنهـم يقولون: إن معه الطعام والإنهار . قال: هو أهون على الله من ذلك ": (رواه: مسلم) .

* **قدرته على إظهار المعادن والكنوز:**

مـن قـدرات " الدجـال " الخارقـة، قدرتـه عـلى إظهار المعادن الثمينة والنفيسة،

وإخراج الكنوز من باطن الأرض بدون مشقة ولا جهد، إنما هو ينظر إلى الأرض فيعرف خبيئة بطنها، فيأمرها أن تخرج ما فيها فتطيعه الأرض وتلفظ ما بجوفها من معادن أو كنوز . ويؤيد ذلك الحديث النبوى، حيث قال النبى ﷺ :" ويمر بالخربة فيقول لها: أخرجى كنوزك، فتتبعه كنوزها كيعاسيب نحل ".

* طاعة الأرض والسماء له:

ومثلما يخرج الدجال الكنوز من الأرض بكلمة، فهو أيضاً ينبت الأرض الجرداء بكلمة، فيأتى الأرض وهى صحراء جرداء جافة مجدبة قاحلة فيأمرها أن تنبت، فتفعل . وهو يستغل كل ذلك لفتنة الناس، فإذا فتنوا دعاهم إلى الإيمان به، ويقول النبى ﷺ: "... فيأتى على القوم فيدعوهم فيؤمنون به و يستجيبون له فيأمر السماء فتمطر، والأرض فتنبت، فتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت ذراً، وأسبغه ضروعاً، وأمده خواصر، ثم يأتى القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله فينصرف عنهم، فيصبحون ممحلين ليس بأيديهم شىء من أموالهم ... "

أى: أنه يفعل كل ذلك لإيهام الناس بأن من يؤمن به يصيبه الخير وتنبت أرضه، ومن يكفر به أو يكذبه يذهب عنه الخير وتجدب أرضه ويخسر كل شىء، وإن الذين يؤمنون به سوف ينعمون بكل ما معه من الخير والملذات، وقد جعل الله الأرض والسماء يطيعانه ليختبر الناس فى هذا البلاء العظيم وتلك المحنة البالغة، ولذلك قال النبى ﷺ:" لا فتنة أعظم من فتنة الدجال ".

* قدرته على الإماتة والإحياء:

مثلما يأمر " الدجال " الأرض أن تنبت، والسماء أن تمطر، فهو يأمر أيضاً من لا يؤمن به بالموت فيموت، ثم يحييه مرة أخرى ويعذبه قبل ذلك لكى يؤمن به، ويؤيد ذلك ما جاء عن النبى ﷺ إذ قال بهذا الصدد:

" يخرج الدجال، فيتوجه قبله رجل من المؤمنين، فتلقاه المسالح، مسالح الدجال، فيقولون له: أين تعمد ؟ فيقول: أعمد إلى هذا الذى خرج . قال، فيقولون له: أوما تؤمن بربنا ؟ فيقول: ما بربنا خفاء . فيقولون: اقتلوه، فيقول بعضهم لبعض: أليس قد نهاكم ربكم أن لا تقتلوا أحداً دونه ؟ قال: فينطلقون به إلى الدجال . فإذا رآه المؤمن قال: يأيها الناس ! هذا .. الدجال الذى ذكره رسول الله ﷺ ، قال: فيأمر الدجال به فيشبح، ثم يقول: خذوه فشجوه . فيوسع ظهره وبطنه ضرباً، قال، فيقول: أوما تؤمن

بـى ؟ فـيقول: أنـت المسـيح الكذاب . قال: فيؤمر به فيؤشر (يُشق) بالمنشار من مفرقه (وسـط رأسـه) حـتى يفـرق بـين رجليه، قال: ثم يمشى " الدجال " بين القطعتين . ثم يقول له: قم فيستوى قائماً .

قـال، ثـم يقـول له (الدجال): أتؤمن بى ؟ فيقول: ما ازددت فيك إلا بصيرةً، قـال، ثـم يقـول: يأيها الناس إنه لا يفعل بعدى بأحد من الناس، قال: فيأخذه الدجال لـيذبحه . فـيجعل ما بين رقبته إلى ترقوته نحاساً، فلا يستطيع إليه سبيلاً،قال: فيأخذ بيديه ورجليه فيقذف به، فيحسب الناس إنما قذفه فى النار، وإنما ألقى به فى الجنة، فقال النبى ﷺ : " هذا أعظم الناس شهادة عند رب العالمين ". (رواه: مسلم) .

* السرعة الشديدة:

يـتحرك " الدجـال " فى الأرض بسرعة شديدة، تكاد تكون خاطفة، والسبب فى ذلـك هـو أن يملأ الأرض وتكون لـه القدرة على الانتشار السريع فيها، فإذا كان بمقدوره أن يـتحرك على هذا النحو بسرعة فائقة فإنه سوف ينتشر فى الأرض والبحر والجو أيضاً لكـى تكـون الفتـنة شـاملة، عامـة، وقـد سـأل الصـحابة النبى ﷺ عن سرعة " الدجال فقـالوا: يـا رسـول الله ومـا إسـراعه فى الأرض ؟ قال: " كالغيث استدبرته الريح ". ولا يستغرب ذلك فى رجل اختلطت فيه الطبيعة البشرية مع طبائع الشيطان .

* * * * * *

يُفهم من كل ما سبق أن " الدجال " سيخرج .. فيكون " فتنة " للناس .

وأنـه لكـى يـتم عملـه، فإنـه سـوف " يفتن " الناس بالخوارق، التى يدعى أنها معجـزاته، وهـى ليسـت بالمعجـزات كمـا رأيـنا، لأن جنته هى النار، وناره هى الجنة، فإنمـا هـى خـوارق جعلت له للابتلاء فحسب، ولا يملك هو نفسه أن يضر بها أو ينفع، لأن مـن اخـتار جنـته . فقـد ضل واختار النار، ومن كفر به واختار ناره فقد أفلح ودخل الجـنة، وسـوف تسـتمر محـنة " الدجال " فى الأرض، أربعين يوماً، فقد سأل الصحابة الرسـول ﷺ عـن مـدة بقـاء " الدجال " فى الأرض، فقالوا: " يا رسول الله وما لبثه فى الأرض ؟ قـال: أربعـون يومـاً، يـوم كسـنة . ويـوم كشـهر . ويـوم كجمعة . وسائر أيامه كأيـامكم " قلـنا: يـا رسـول الله فذلـك الـيوم الـذى كسـنة، أتكفيـنا فـيه صـلاة يـوم ؟ قال " لا " . أقدروا له قَدْرَهُ ": (رواه مسلم) .

وعلى الرغم من أن فتنة الدجال عظيمة، ذات خطر، إلا إنها لا تضر المؤمن المسلم، وقد جاء فى الحديث ما يؤكد ذلك، فقد روى البزار عن حذيفة، قال: كنا عند رسول الله ﷺ فذكر الدجال، فقال: " لفتنة بعضكم أخوف عندى من فتنة الدجال، ليس من فتنة كبيرة ولا صغيرة إلا تصنع لفتنة الدجال، فمن نجا من فتنته ما قبلها فقد نجا منها، والله لا يضر مسلماً، مكتوب بين عينيه كافر ".

* أتباع الدجال:

يخرج الدجال .. فيكون فتنة، ويتبعه من يؤمن به وأكثرهم اليهود.

فيتقدم أتباعه الجند، والسحرة، والنساء، وخلفهم الغوغاء من أصناف الناس . وقد قال النبى ﷺ: " الدجال: أول من يتبعه سبعون ألفاً من اليهود عليهم السيجان (ملابس صوفية) ومعه سحرة اليهود يعملون العجائب للناس فيضلونهم بها " . (رواه ابن عساكر) .

وقال أيضاً النبى ﷺ: " يتبع الدجال من يهود أصبهان، سبعون ألفاً عليهم الطيالسة (ثوب غير مخيط) وثلاثة عشر ألف امرأة ": (رواه أحمد) .

وينتشر " الدجال " فى الأرض على النحو الذى وصفناه، ويدخل جميع البلاد، عدا مكة والمدينة، وزاد بعض الرواة: بيت المقدس ومسجد الطور .

* الوقاية من محنة الدجال:

جعل الله الدجال .. " فتنة "، والفتنة محنة وابتلاء لقوة الإيمان، فليس يرجى لدفع البلاء، والثبات فى الابتلاء، سوى الإيمان، وتقوية القلوب بدواء الإيمان هو خير وقاية لها من داء الفتنة، ثم على المسلم بعد ذلك أن يتسلح بالقرآن عموماً، وأن يحفظ منه أول سورة الكهف (حفظ عشر آيات) خصوصاً، فهى تعصمه من الفتنة كما قال النبى ﷺ: " من حفظ أول عشر آيات من سورة الكهف، عصم فتنة الدجال "[1] .

فمن أراد ألا يلقى الدجال فليعتصم فى الأماكن التى حرم على الدجال دخولها، وهى: مكة والمدينة، والطور والمسجد الأقصى ..

وأخيراً، فلنا فى رسول الله ﷺ قدوة حسنة، وقد كان النبى ﷺ ينصحنا دائماً

---

(١) رواه أبو داود .

بـدوام الاسـتعاذة مـن الدجـال وفتنـته بعد كل تشهد أخير وقبل السلام، فيقول: " اللهم نعـوذ بـك مـن عـذاب جهـنم، ومـن عـذاب القـبر، ومن فتنة المحياً والممات، ومن فتنة المسيح الدجال " .

***

وبعـــــد ..

فـإن " الدجـال " سـيخرج، فـيكون فتـنة، كما قلنا، ويملك الأرض، إلا أن مكثه فـيها لا يطـول . وسـيظهر بعـده المسـيح " عيسـى بـن مـريم " عليه السلام، فيقـتله، وتنتهى المحـنة، وينشر المسيح فى الأرض الأمن والعدل والسلام . ويستحق منا هذا الحدث وقفة قـبل الخـتام . فـإن " المسـيح " عليه السلام ممن ينتظرهم العالم فيمن ينتظر ولا يجوز تجاهله فى هذا المقام .

* * * * * * * * *

نزول المسيح عيسى بن مريم عليه السلام

عـندما ظهر المسيح عيسى بن مريم عليه السلام فرح اليهود، لأنهم كانوا ينتظرون النبى الـذى يقودهـم ويؤسـس لهم مملكة بنى إسرائيل ويصبح ملكهم الموعود الذى يحكم العالم كله .

لكـن عـندما أعلـن المسـيح أنه لم يأت ليؤسس مملكة فى الأرض، إنما جاء ليبشر بمملكـة السـماء، انقلـب الـيهود علـيه . وأنكـروا نبوته، وقالوا إن ملكهم لم يظهر بعد، وأنهـم سـوف ينـتظرونه، ثم اضطهدوا المسيح عيسى بن مريم عليه السلام وأرادوا قتله، فرفعه الله، وهو عندنا: لم يقتل، ولم يصلب، إنما رفع إلى السماء .

وعـندنا، أيضاً، أنه سوف يهبط إلى الأرض، ويقتل الدجال " ملك اليهود " فنحن ننـتظره ونؤمن بعودته، كما نؤمن أن عودته تمثل أحد أشراط الساعة، وأن العدل والسلام سوف يسودان الأرض بعد عودته . لأنه المسيح الحق .

وقـد سمـى المسـيح بهـذا الاسم لأنه مُسح بالبركة، ولأنه كان يمسح بيده على كل ذى عاهـة فيبرأ، فاسمه من أبنية أسماء الفاعلين: مسيح .. يعنى ماسح، وقيل إن معنى " المسـيح " هـو: " الصّديق " وقيلت فى أسباب تسميته بهذا الاسم الكثير من الأسباب، ومنها: أنه لم يكن لرجليه أخمص (وهو ما يمس الأرض من باطن الرِّجْل) أو لأنه مسح بـالدهن بعـد ولادتـه، والمسـيح . لغـة: قطعـة الفضة . ومثلها المسيحة، وكان المسيح بن مـريم أبـيض مشرباً بحمرة، عريض الصدر جعداً (متماسك الجسم) . وقيل أيضاً: سمى كذلـك لأن الله مسح عـنه الذنـوب، وتلك أقرب أسباب تسميته بهذا الاسم، أما أبعدها فكثير . ولا حاجة بنا إلى ذكره فى هذا المقام .

* صفات المسيح عليه السلام :

لا يتصـف المسـيح عليه السلام بطـول القامـة، ولا بقصرها، وإنمـا هو وسط بين الطول والقصـر، يقطـر مـن رأسـه مـاء، وقال النبى ﷺ : ".. وإنه نازل، فإذا رأيتموه فاعرفوه، رجلاً مربوعاً إلى الحمرة والبياض[1] .. " . " كأن رأسه يقطر . وإن لم يصبه بلل[2] .." . " .. وإذا طأطـأ رأسـه قطـر وإذا رفعـه تحـدَّر مـنه جُمـانٌ كاللؤلؤ[3].. " . " عليه ثوبان ممصران[1] .. " . " عليه برنس[2] .. " . " سبط الشعر[3] .. ".

• صفة نزول المسيح عليه السلام :

ينزل المسيح عليه السلام إلى الأرض في وقت معين، عند صلاة الفجر، وبيده حربة يقتل بها الدجال، أما صفة نزوله، فإنه ينزل واضعاً كفيه على أجنحة ملكين، ويمكث في الأرض أربعين سنة، ويتزوج، ويولد له، ويكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويهلك الله في زمانه كل الملل والأديان . عدا الإسلام، ويحج، ثم يتوفى ويصلى عليه المسلمون، ثم يدفن مع الرسول ﷺ وصاحبيه فيكون قبره رابعاً، يؤيد ذلك كله الأحاديث المروية عن أحمد والطبراني والحاكم وابن عساكر ونعيم بن حماد وأبو داود والديلمي والبخاري[1]

وينزل المسيح عليه السلام عند المنارة البيضاء شرقي دمشق، ويبدأ بتحذير الناس من الدجال وحثهم على قتاله، قال النبي ﷺ في ذلك: ينزل عيسى فينادي من السَّحَر، فيقول: أيها الناس، ما يمنعكم أن تخرجوا إلى الكذاب الخبيث ؟ فيقولون: هذا رجل جنيٌّ ؟ فينطلقون .. (رواه أحمد وابن خزيمة والحاكم وأبو يعلى) .

ويؤيد الله المسيح بقوى تقهر ما يملكه الدجال من قوى، بل إن الدجال يذوب كما يذوب الرصاص لمجرد أن يرى المسيح، وقد أخبر النبي ﷺ بذلك فقال: " فإذا رآه الدجال ذاب كما يذوب الرصاص، فيضع (المسيح) حربته بين ثندوتيه .. فيقتله .." .

وتكون نهاية الدجال ونهاية أتباعه كما ذكرها النبي ﷺ فقال: " وينهزم أصحابه (أي الدجال) فليس يومئذ شيء يواري أحداً منهم، حتى الحجر ليقول: يا مؤمن .. هذا كافر .. ": (رواه أحمد وابن أبي شيبة والحاكم) .

وبعد انتهاء المسيح من قتل الدجال، يحج إلى مكة، وهناك يتوفاه الله ومن معه ويدفن مع النبي ﷺ ، وقد أخبر النبي ﷺ بذلك، فقال: " .. وليسلكن فجاجاً حاجاً معتمراً، أو بنيتهما، وليأتين قبري حتى يسلم عليّ، ولأردن عليه السلام " (رواه الحاكم) .

وقبل ذلك، " .. يكسر الصليب ويقتل الخنزير .. " (رواه ابن أبي شيبة)

ولا يموت قبل أن يمكث في الأرض فيتزوج ويولد له ولد، ويمكث خمساً وأربعين سنة، يقع فيها الأمن على الأرض حتى ترتع الأسود مع الإبل، والنمار مع البقر، والذئاب مع الغنم، ويلعب الصبيان بالحيَّات فلا تضرهم (رواه أحمد عن أبي هريرة).

---

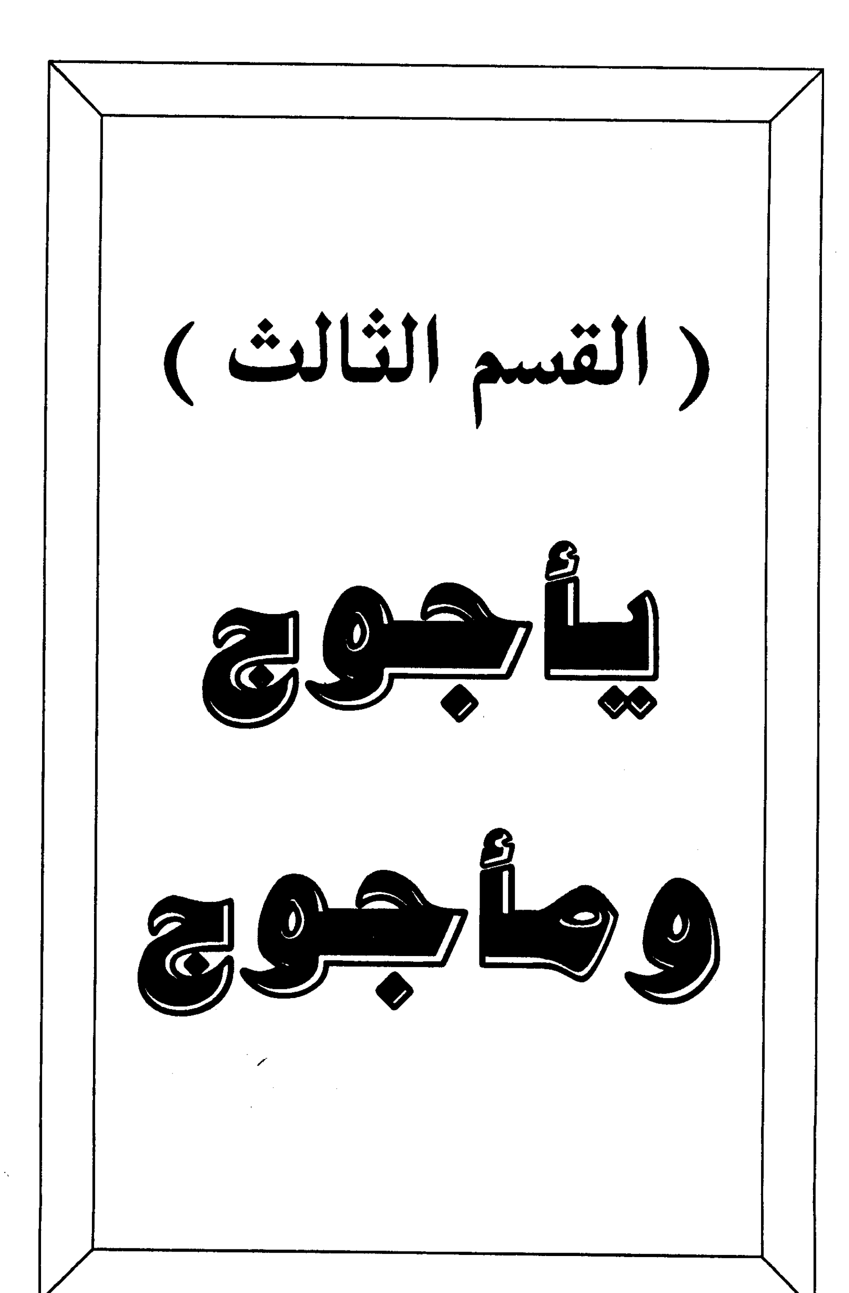
(١) فتنة المسيح الدجال: سابق، والمسيح الدجال: عبد اللطيف عاشور .

* أسباب نزول المسيح:

ينزل المسيح لأسباب معلومة، محددة، تضمنتها الأحاديث، هي:

- قتل الدجال، وإخماد فتنته، وإنهاء محنته .
- الدعوة إلى الإسلام والحكم بين الناس بالعدل .
- إشاعة الأمن والأمان والسلام فى الأرض .
- كسر الصليب .. وقتل الخنزير .. ووضع الجزية .
- الوفاة والدفن فى الأرض، لأن المسيح عليه السلام : رُفِع، ولم يمت، فيجب نزوله . ويجب موته فى الأرض، فإنه لا يجوز ولا ينبغى لبشر أن يموت فى السماء، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ﴾ [طه: ٥٥]

* * * * * * *



(القسم الثالث)

يأجوج ومأجوج

يأجوج ومأجوج

ولا تكون الساعة، أيضاً، إلا بعد خروج يأجوج ومأجوج . فهما من أشراطها .

وسيكون خروجهما بعد قتل المسيح عيسى بن مريم عليه السلام للدجال، فإن الله يوحى إليه عندئذ أنه أخرج يأجوج ومأجوج، وأنه لابد من قتالهم، فيقاتلهم المسيح ويقضى عليهم فيقطع دابرهم وينهى فسادهم فى الأرض . فهم فسقة أشرار، تمادى بهم الفسق والفجور والشر حتى قالوا : لقد قتلنا من فى الأرض فهلم نقتل من فى السماء .. ثم أنهم وجهوا حرابهم وسهامهم ونشابهم نحو السماء فردت إليهم مخضوبة بالدماء .

* ذكرهم فى القرآن الكريم:

حدثنا القرآن الكريم عن يأجوج ومأجوج فى سورتين، الأولى هى سورة "الكهف" والثانية هى سورة " الأنبياء "، وفى سورة " الكهف " قال تعالى: ﴿ حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْماً لا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلاً * قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجاً عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدّاً * قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْماً * آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَاراً قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْراً * فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْباً * قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقّاً * وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعاً ﴾ [الكهف: ٩٣، ٩٩] .

أما فى سورة " الأنبياء " فقد قال تعالى عنهم:

﴿ حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ * وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ ﴾ [الأنبياء: ٩٦، ٩٧]

فالقصة فى القرآن الكريم تشير إلى وجود " يأجوج ومأجوج "، كما تشير إلى أن ذا القرنين هو الذى حبسهم خلف السد، فهم فى حبس إلى أن يأذن الله بخروجهم، كما دلت الآيات على أن " يأجوج ومأجوج " كانوا من المفسدين فى الأرض، وقد أعان الله عليهم ذا القرنين مع قوم فجعلوا بينهم وبين القبيلتين المفسدتين " يأجوج ومأجوج" سداً

ومن المعلوم أن " يأجوج ومأجوج " اسمان مشتقان من أجيج النار، وقد أطلق

الاسم على القبيلتين ليعبر عن شدة بأسهما وكثرة نسلهما وعظمة بطشهما، وقيل أيضاً إن الاسم مشتق من " الأجاج " وهو الماء المالح الشديد الملوحة والمرارة . ولكنا نميل إلى الأخذ بالمعنى الأول من أجيج النار، نظراً لما ليأجوج ومأجوج من صفات خلقية غريبة تجعل خلقهم أقرب إلى الوحوش أو الشياطين منهم إلى البشر، وإن كانوا من أصول بشرية .

* أصل يأجوج ومأجوج:

قال عبد الملك: هما أمتان من ولد " يافث بن نوح " مدّ الله لهما فى العمر، وأكثر لهما فى النسل، حتى ما يموت الرجل من يأجوج ومأجوج حتى يولد له ألف ولد . فولد آدم كلها عشرة، يأجوج ومأجوج منهم تسعة أجزاء وسائر ولده كلهم جزء واحد، وكذلك قال " مقاتل "، أما الضحاك فقد قال إنهما من: " الترك " .

* صفات يأجوج ومأجوج:

أجمعت المصادر على أن ليأجوج ومأجوج من الصفات ما يجعلهم أقرب إلى طبيعة الوحوش والشياطين من طبيعة البشر، وأول ذلك: أنهم لا يفقهون قولاً . ويدل هذا على وحشيتهم وهمجيتهم، لأن اللغة نتاج التفكير والعقل، وغيابها يدل على غياب التفكير العاقل . وقد بلغت وحشيتهم حد أكل الحشرات والحيات والعقارب واللحوم النيئة للسباع والوحوش والحيوانات التى لا تؤكل كالأفيال والكلاب والخنازير، فهم يأكلون كل ذى روح، ولا يتركون الأخضر ولا اليابس، وقيل إنهم يأكلون لحوم البشر أيضاً، وقد يأكل بعضهم بعضاً .

أما أصنافهم وهيئتهم فقد قال فيها عمرو بن العاص: " إن يأجوج ومأجوج ذرء جهنم ليس فيهم صديق وهم ثلاثة أصناف: على طول الشبر، وعلى طول الشبرين، وثلث منهم طوله وعرضه سواء، وهم من ولد " يافث بن نوح " عليه السلام .

وذكر على بن معبد عن أشعث عن شعبة عن أرطأة بن المنذر، قال: " إذا خرج يأجوج ومأجوج أوحى الله تبارك وتعالى إلى عيسى عليه السلام إنى قد أخرجت خلقاً من خلقى لا يطيقهم أحد غيرى فمر بمن معك إلى جبل الطور ومعك من الذرارى اثنا عشر ألفاً، قال: يأجوج ومأجوج ذرء فى جهنم، وهم على ثلاثة أثلاث، ثلث على الأرز (فى طول شجرة الأرز)، وثلث مربع . طوله وعرضه واحد وهم أشد، وثلث يفترش إحدى أذنيه ويلتحف بالأخرى، وهم من ولد يافث بن نوح .

وقد وصفهم النبى ﷺ أيضاً فقال:

" ... صنف منهم كالأرز، وصنف منهم طوله مائة وعشرون ذراعاً، وصنف منهم يفترش أذنه ويلتحف بالأخرى " .

ووصفهم علىّ بن أبى طالب ﷺ فقال:

" وصنف منهم فى طول شبر، لهم مخالب وأنياب كالسباع وتداعى الحمام وتسافد البهائم وعواء الذئب، وشعور تقيهم الحر والبرد، وآذان عظام إحداهما وبرة يشتوُن فيها والأخرى يُصيّفون فيها " .

ويفهم من ذلك أن منهم العمالقة العماليق، كما أن منهم الأقزام، ومن هم دون الأقزام وأن فى طبيعتهم وحشية وقسوة، فهم بين البهائم والوحوش طبعاً، يتحركون بسرعة وكأنهم يتداعون كالحمام . وكانوا يخرجون فيغيرون على القرى والقبائل المجاورة لهم فلا يتركون أى شىء إلا أكلوه . نيئاً، حتى إنهم يشربون الدماء ويأكلون مشائم النساء . ولهم نسل عظيم، قيل فيه : " الجن والإنس عشرة أجزاء، فتسعة أجزاء يأجوج ومأجوج، وجزء سائر الناس ": [أخرجه ابن أبى حاتم عن طريق عبد الله بن عمر] .

وقد قال النبى ﷺ عنهم: " .. يأجوج ومأجوج أمة لها أربعمائة أمير، وكذلك يأجوج ومأجوج لا يموت أحدهم حتى ينظر إلى ألف فارس من ولده .. " .

" .. يجامعان ما يشاءون ولا يموت رجل منهم إلا ترك من ذريته ألفاً فصاعداً " [النسائى] .

* خروج يأجوج ومأجوج:

حدثنا القرآن الكريم (الكهف، الأنبياء) عن يأجوج ومأجوج . ومن آياته فهمنا أنهما فى حبس إلى أن يأذن الله بخروجهما، قبل الساعة، فهما من أشراطها الثابتة المتفق عليها .

وحدثتنا الأحاديث النبوية، الصحيحة، أن المسيح عيسى بن مريم ﷺ سيوحى إليه الله تعالى أنه أخرج خلقاً من خلقه، هما يأجوج ومأجوج، ويكون ذلك بعد قتل المسيح للدجال، وعندئذ يذهب عيسى بن مريم إلى الطور ليجمع جنده .. ثم يذهب لقتال " يأجوج ومأجوج " مدعماً بالمدد الإلهى .

وفى الأحاديث، أن الله سيبعث " يأجوج ومأجوج " فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها، ويمر آخرهم فيقولون: لقد كان بهذه ماء .. ويدل هذا على كثرة نسلهم وعددهم .

ثم يأتى عيسى بن مريم عليه السلام وأصحابه فيدعو الله فيرسل الله النغف (دود) فى رقابهم، أى: فى رقاب يأجوج ومأجوج . فيصبحون فرسى (قتلى) كموت نفس واحدة . ثم يهبط عيسى عليه السلام وأصحابه الأرض، فلا يجدون فيها موضع شبر إلا ملأه زهمهم (دسمهم) ونتنهم، فيدعو عيسى بن مريم عليه السلام ربه فيرسل الله طيراً كأعناق البخت (جمال طويلة العنق) فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله، وقيل: تطرحهم فى مطلع الشمس .

ثم يرسل الله مطراً لا يكُن منه بيت مدر، أى: لا يبقى بعده بيت من الطين، ولا وبر، فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلقة .

ثم يقال للأرض: أنبتى ثمرتك، ورُدّى بركتك فيومئذ تأكل العصابة (الجماعة) من الرمانة . ويستظلون بقحفها (قشرها) ويبارك الرّسْل (وهو: اللبن)، حتى أن اللقحة (المولودة حديثاً) من الإبل لتكفى الفئام (جماعة كبيرة) من الناس، واللقحة من البقر لتكفى القبيلة من الناس، واللقحة من الغنم لتكفى الفخذ (أقل من البطن من القبيلة) من الناس، فبينما هم كذلك، إذ بعث الله ريحاً طيبة، فتأخذهم تحت آباطهم، فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم، ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارج الحُمُر، فعليهم تقوم الساعة " [رواه مسلم من حديث النواس بن سمعان][1]

وزاد فى رواية أخرى بعد قوله " لقد كان بهذه ماء " فقال:

" ثم يسيرون حتى ينتهوا إلى جبل الخمر، وهو جبل بيت المقدس فيقولون: لقد قتلنا من فى الأرض، فلنقتل من فى السماء، فيرمون بنشابهم إلى السماء فيرد الله عليهم نشابهم مخضوبة دماً " [أخرجه الترمذى فى جامعه] .

ويكون بعد ذلك أن يأتى عيسى بن مريم فيدعو الله فيسلط الله عليهم النغف فيصبحون موتى يملأ الأرض زهمهم ونتنهم .. إلى آخر القصة .

* * * * * * *

وبعـــــد ..

فقد آن أن نختم هذا الكتاب، وإن كان لنا أن نوجز فى كلمة ما يهدف إليه كتابنا هذا ؛ فإننا نقول: إن الناس قد عاشت، ما عاشت، وهى تحلم بالأمن والرخاء والسلام، وقد ظل هذا الحلم عبر العصور تسجل صوره وتجلياته القرون والتواريخ، فكان من تجلياته الفتن، والثورات، والحركات الهدامة، والمدارس الفلسفية، والفرق والمذاهب على اختلافها وأنواعها المتباينة .

كانت كل ثورة، وكل حركة، وكل فتنة، وكل مذهب يتخذ من هذا الحلم ركيزة وتكأة، وتمتطى ظهور الجماهير فتسوقها إلى تحقيق أهدافها السياسية طمعاً فى السلطة والحكم، ثم تنقلب بعد ذلك على الجماهير التى رفعتها إلى العرش فتسومهم الخسف والبطش والقهر، وتقودهم بالاستبداد إلى الذل والمهانة بالقمع والجبروت . فكانت الجماهير لا تجد أمامها من مفر سوى أن تلتجىء من جديد إلى الحلم .. وأن تنتظر من يخلِّصها من الظلم والفقر والقهر والاستبداد، ومن هنا ظهرت عقيدة "المُخلِّص"، وعقيدة " المهدى المنتظر " فى جميع العقائد والأديان، وظهرت عقيدة " الدجال المنتظر "، وعقيدة " عودة المسيح عيسى بن مريم عليه السلام "، وعقيدة " المسيح اليهودى "، وعقيدة " زرادشت المنتظر الموعود " وغيرهم ممن ينتظر العالم عودتهم .

وكلها عقائد تستند إلى أصول، وجذور، تاريخية ودينية، يصح بعضها ويضل أكثرها، لكن بصرف النظر عن صحة أو بطلان هذه العقائد، يظل المغزى الكامن خلفها هو: أن الجماهير مازالت تحلم .. ومازالت تنتظر، منذ فجر التاريخ . وإلى يومنا هذا، وأن حلمها لم يتبدل قط، لأنه ما من حلم أفضل من حلم: الحرية والعدل والمساواة والسلام والأمن والرخاء .

وأكبر الظن أن الجماهير، فى كل مكان على الأرض، لن تتوقف عن الحلم أبداً، لأن عالمنا لم يحقق للإنسان كل ما يصبو إليه، إذ على الرغم من تعاقب الحضارات، وتطور الحياة بأشكالها الاجتماعية والمدنية، ورغم الرقى المادى الهائل الذى حققه الإنسان، إلا أن البشر فى كل مكان يشعرون جيداً أن أعظم حضاراتهم المادية ما هى إلا حضارة خاوية من الرقى الروحى، بل هى حضارة ظالمة تقوم على التفرقة، وعدم المساواة، والقهر والقوة والاستبداد . فما قيمة مثل هذه الحضارة التى لا تحقق للإنسان حلمه بإنسانية حرة، راقية، تحيا حياة كريمة تليق بكرامة الإنسان وإنسانيته ! وما

دامـت أعظـم حضـارات الإنسان المادية فى عصرنا الحالى لم تحقق حلم البشر فى الحياة الكـريمة، فـإن الإنسـان فى كل مكان سيظل يحلم .. وينتظر " المخلّص " ، وقد ينتفض بـين حين وآخر .. لاعناً الحلم، فيهب من سبات الأحلام بدافع الثورة ليحيل الحلم إلى حقيقة .

* * * * * * * * *

المصـــــــادر

١) المهدية فى الإسلام: سعد محمد حسن، دار الكتاب العربى، القاهرة، ١٩٥٣ .
٢) المهدى والمهدوية: أحمد أمين، (إقرأ)، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥١ .
٣) مع الشيعة الإمامية: محمد جواد مغنيّة، مكتبة الأندلس، بيروت .
٤) حقيقة البهائية: مصطفى محمود، دار المعارف، القاهرة .
٥) مفتاح باب الأبواب: ميرزا محمد مهدى، (د. ت) .
٦) بهاء الله والعصر الحديث: اسلمنت البهائى .
٧) الكواكب الدرية فى تاريخ ظهور البابية والبهائية: ميرزا عبد الحسين أواره، ت: أحمد فائق راشد، المطبعة العربية، القاهرة، ١٩٢٤ .
٨) سوسنة سليمان فى أصول العقائد والأديان: نوفل نوفل، (د. ت) .
٩) المسيح الدجال: عبد اللطيف عاشور .
١٠) فتنة المسيح الدجال: أميمة محمد على، دار الروضة، القاهرة .
١١) الإيقان: لبهاء الله (ميرزا حسين على)، نشر المجمع البهائى، القاهرة .
١٢) الوشيعة فى نقد عقائد الشيعة: موسى جار الله، مكتبة الخانجى، القاهرة .
١٣) المقدمة: لابن خلدون، دار ابن خلدون (الاسكندرية)، و ط / بولاق .
١٤) البداية والنهاية: لابن كثير، دار الكتب العلمية، بيروت .

وغير ذلك من المصادر التى ذكرت فى المتن والهوامش، والمصادر الثانوية مثل: الحراب فى صدر البهاء والباب (محمد فاضل)، والشيعة وتحريف القرآن (محمد النجفى) .

صدر للمـــــــؤلف

(١) أمل العشق الأول	" شعر "، " نقد "	١٩٨٣
(١٦) إعداد قصصي لمسرح شكسبير (١٥جزء)	المركز العربي للنشر	١٩٨٥
(١٧) رواد وروائع الفكر العالمي	" مقالات "، " نقد "	١٩٨٦
(١٨) في تحديث الثقافة العربية	دار الثقافة للنشر	١٩٨٧
(١٩) آل روتشيلد	المركز العربي للنشر	١٩٨٨
(٢٠) القوى الخفية	المركز العربي للنشر	١٩٨٩
(٢١) أشهر الزعماء في التاريخ	المركز العربي للنشر	١٩٩١
(٢٢) أشهر الملكات في التاريخ	المركز العربي للنشر	١٩٩٢
(٢٣) أشهر العباقرة	المركز العربي للنشر	١٩٩٣
(٢٤) رحلة مع الله: الصوفية والتصوف	دار قايتباي للنشر	١٩٩٤
(٣٢) المكتبة السيكولوجية (٨ أجزاء)	هلا بوك شوب	١٩٩٦
(٤٧) عبقريات مصرية (١٥ جزءا)	الناشر العربي	١٩٩٧
(٦٢) أعظم الكتب (١٥ جزءا)	الناشر العربي	١٩٩٧
(٦٣) شجر الكلام " شعر "	وكالة تافكس	١٩٩٨
(٦٤) أغنيات الحب والثورة " شعر "	وكالة تافكس	١٩٩٨
(٦٥) الأفعى اليهودية	مكتبة الثقافة	١٩٩٨
(٦٦) أشباح وأرواح	مكتبة غزال	٢٠٠٠
(٧١) الموسوعة النفسية المبسطة (٥ أجزاء)	مكتبة رجب	٢٠٠٠
(٧٢) أسرار المراهقة	مكتبة غزال	٢٠٠١
(٧٣) فن الحب	مكتبة غزال	٢٠٠١
(٧٤) غرائب وعجائب القوى الخفية	مكتبة القدسي	٢٠٠١
(٧٥) أسرار الشخصية	دار الحرية	٢٠٠٢
(٧٦) حلل شخصيتك بنفسك	دار الحرية	٢٠٠٢
(٧٧) الشخصية المؤثرة	دار الحرية	٢٠٠٢
(٧٨) بيرم: أمير الزجل	دار الحرية	٢٠٠٢
(٧٩) غرائب وعجائب عالم الروح	دار الروضة	٢٠٠٢
(٨٥) المكتبة السيكولوجية (٦ أجزاء)	المكتب العربي للمعارف	٢٠٠٢

المحتـــــــويات

الموضـــــــــــوع	صفحة
* مقدمة	٥
* **القسم الأول: المهدى المنتظر :**	٧
* **المهدوية فى الإسلام:**	٩
الإمامة فى الإسلام	١٠
* غلاة الشيعة :	١٨
التأويل الشيعى للقرآن	١٩
فرق الشيعة	٢٣
السبأية	٢٣
الكيسانية	٢٤
الزيدية	٢٦
الإمامية	٢٨
الاثنا عشرية	٢٨
الإسماعيلية	٢٩
تراث الشيعة	٣٢
الشيعة وتحريف القرآن	٣٢
* **المهديون من غير آل البيت:**	٣٤
ابن تومرت: " مهدى الموحدين	٣٤
المهدية فى العصر الحديث	٣٦
* **البابية والبهائية:**	٣٧
البابية	٣٧
البهائية	٣٩
تعاليم البهائية	٤٠
كتب البهائية المقدسة	٤٢
* **الباريلية والقاديانية:**	٤٣
الباريلية	٣٤
القاديانية	٤٤
تعاليم وأفكار القاديانية	٤٤
* **القسم الثانى: المسيح الدجال :**	٤٧
* فتنة الدجال	٤٩

المسيح الدجال	٥٠
الدجال: هيئته وصفاته	٥٠
مولد الدجال	٥٣
وقت خروج الدجال	٥٤
علامات ظهور الدجال	٥٥
* **خوارق الدجال:**	٥٨
الجنة والنار	٥٨
النهران	٥٩
جبال الطعام	٥٩
القدرة على إظهار المعادن والكنوز	٥٩
طاعة الأرض والسماء له	٦٠
القدرة على الإماتة والإحياء	٦٠
السرعة الشديدة	٦١
أتباع الدجال	٦٢
الوقاية من محنة الدجال	٦٢
* **نزول المسيح عيسى بن مريم عليه السلام:**	٦٤
صفات المسيح عليه السلام	٦٤
صفة نزول المسيح عليه السلام	٦٥
أسباب نزول المسيح	٦٦
* **القسم الثالث: يأجوج ومأجوج.**	٦٧
يأجوج ومأجوج	٦٩
ذكرهم فى القرآن	٦٩
أصل يأجوج ومأجوج	٧٠
صفات يأجوج ومأجوج	٧٠
خروج يأجوج ومأجوج	٧١
* المصادر	٧٥
* صدر للمؤلف	٧٦
* المحتويات	٧٧

رقم الإيداع : ٤٣٥٣ / ٢٠٠٤

مطبعة المدني المؤسسة السعودية بمصر
٦٨ شارع العباسية - القاهرة . ت : ٤٨٢٧٨٥١